جامعة محمّد بوضياف المسيلة

كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة

قسم العلوم الإسلاميّة

المذهب المالكي في غرب إفريقيا

تاريخه وعلماؤه

مذكرة مكملة لمقتضيات نيل شهادة الماستر في العلوم الإسلاميّة

تخصّص: الفقه المقارن وأصوله

إعداد الطّالب: الأستاذ المشرف:

-نذير شيف عبد الرزاق عبد الرزاق د/ بشير عثمان

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ كتاب حياة	محمد بوضياف- المسيلة	رئيسا
د/ بشير عثمان	محمد بوضياف- المسيلة	مشرفاً مقرراً
د/سعيد بن معمر	محمد بوضياف- المسيلة	ممتحناً

2024/2023

1445هـ

المذهب المالكي

في غرب أفريقيا

تاريخه وعلماؤه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: المذهب الحنفي في غريب إفريقيا تاريخ وعلماء

إعداد الطلبة:

1- نذير شتيح عبد الرزاق رقم التسجيل: 13309

2- رقم التسجيل:

القسم: العلوم الإسلامية **الشعبة:** الشريعة التخصص: الفقه المقارن وأصوله

إشراف: د/ بشير عثماني **الرتبة:** أستاذ محاضر أ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): د/ بشير عثماني

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة - قسم العلوم الإسلامية - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

د/ بشير عثماني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: المذهب المالكي في غرب إفريقيا تاريخ وعلماؤه

إعداد الطلبة:

1- نذير شريف عبد الرزاق عبد الرزاق رقم التسجيل: 13309

2- ..... رقم التسجيل: .....

القسم: العلوم الإسلامية **الشعبة:** الشريعة التخصص: الفقه وأصوله

إشراف: د/ بشير غشام **الرتبة:** أستاذ محاضر أ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2023-2024 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): د/ بشير غشام

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ★ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ★ قسم العلوم الإسلامية

د/ بشير غشام

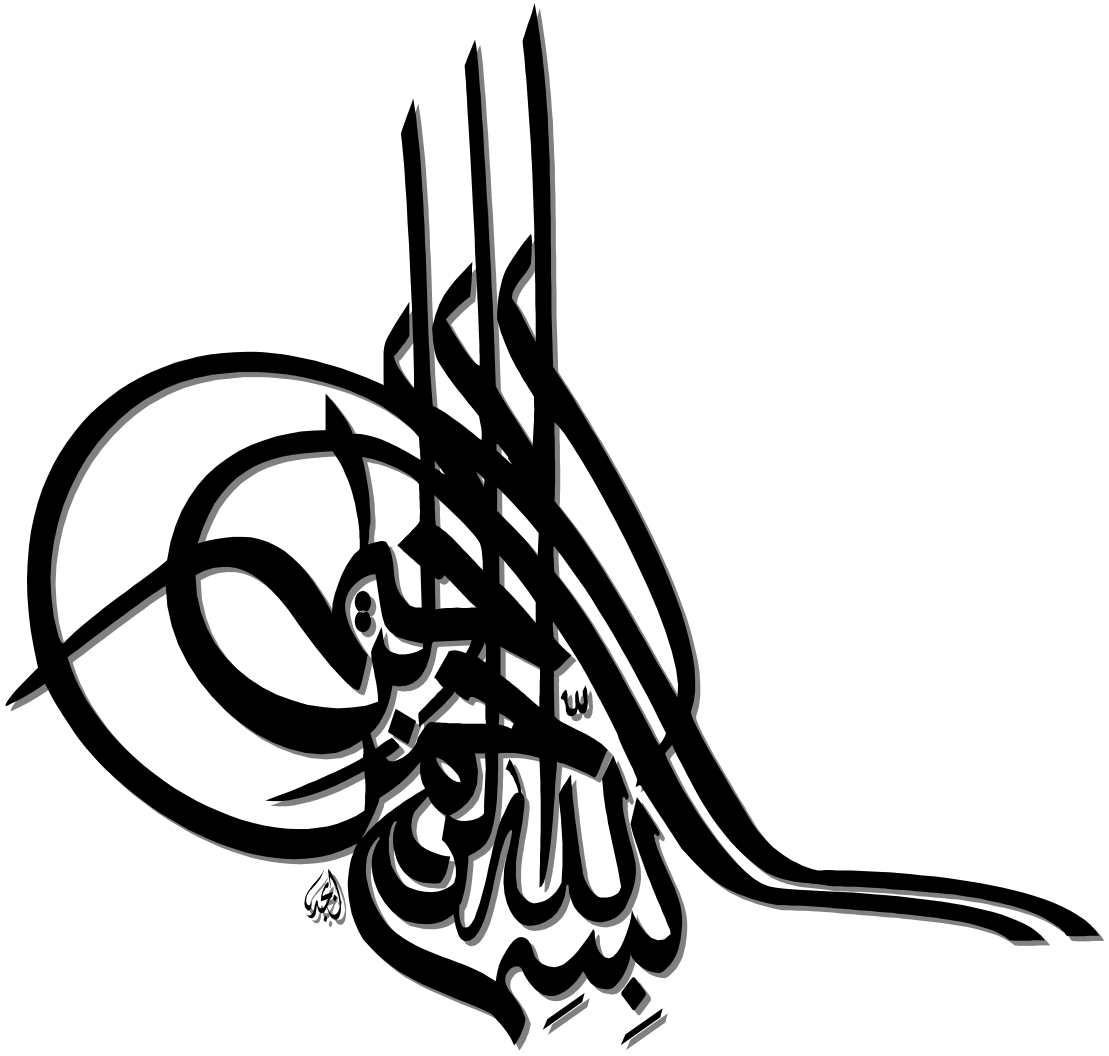

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ
لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

الإهداء

أهدي هذا العمل مع خالص النية لله تعالى، راجيا منه عز وجل أن يتقبله مني ويجعل ثوابه في صحيفة أعمالي

أهديه لوالدتي الغالية مصدر العطاء والحنان، أدعوا الله أن يطيل عمرها لترى ثمار محبتها ورعايتها التي هي سر نجاحي.

كما أهديه لوالدي العزيز الذي يسر لي طلب العلم فجزاه الله خيرا

وإلى جدي الشيخ عبد الرزاق رحمه الله الذي كان قدوتي في الحياة

وإلى كل من ساهم في تلقيني ولو بحرف، والى كل من ساهم في انجاز هذا البحث

فجزاكم الله عني خير الجزاء

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بناء على قول شفيعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)

بكل فخر واعتزاز، أود أن أوجه خالص الشكر والتقدير والاحترام الى أستاذي المشرف الكريم الدكتور بشير عثمان، رئيس القسم العلوم الإسلامية على دعمه اللامحدود وكرمه الذي غمرنا به، منذ بداية بحثي حتى نهاته، رغم انشغالاته الإدارية ومسؤولياته الكبيرة، لم يتوان لحظة في تقديم المساعدة والإرشاد، و أنا ممتن له من أعماق قلبي على كل ما قدمه لي فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بجزيل الشكر الى لجنة المناقشة على قبولها قراءة ومناقشة المذكرة، وإلى كل الأساتذة الذين تتلمذنا على أيديهم خلال المشوار الجامعي في بلدنا الثاني الجزائر.

أيضا أشكر كل أفراد أسرتي الكريمة أسرة الشيخ عبدالرزاق الكوسي،

والشكر أيضا الى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل من أصدقائي وأحبائي وإخواني من الدول الشقيقة التي سعدنا بالدراسة والعيش معهم من فلسطين وغامبيا وموريتانيا والسينغال والسودان وساحل العاج ومالي.

قائمة المختصرات:

الرمز	معناه
د. ط	دون رقم طبعة
د. م. ن	دون مكان النشر
د. ت. ن	دون تاريخ النشر
ع	العدد
تح	التحقيق
ط	الطبعة
ج	جزء
ص	الصفحة
ت	توفي
هـ	هجرية
م	ميلادية

مـــــقـــدمـة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد نشأ الإسلام في شبه الجزيرة العربية، ثم انتشر لاحقا في مناطق مختلفة بفضل الفتوحات الإسلامية التي قادها المسلمون الأوائل، وبعد هذه الفتوحات واستقرار الدولة الإسلامية خاصة بعد مجيء الدولة العباسية ظهرت عدة مذاهب عقدية وفقهية، ومن المذاهب الفقهية السنية مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ويعتبر المذهب المالكي من بين أكثر المذاهب التي انتشرت بشكل كامل في العالم الإسلامي، سواء في المشرق أو المغرب. وبما أن المغرب الإسلامي كان في بدايته مرتبطا سياسيا بالمشرق، فقد أصبح حلقة وصل مهمة في دخول الإسلام وانتشار المذاهب الفقهية في غرب إفريقيا خلال العصور الوسطى.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهمية كبيرة نظرا لدور المذهب المالكي في تشكيل الهوية الدينية والثقافية لمنطقة غرب افريقيا، ويعد فهم أصول هذا المذهب وانتشاره ضرورة لفهم العديد من الجوانب الدينية والاجتماعية والثقافية في هذه المنطقة.

أسباب إختيار الموضوع:

عرض علي الأستاذ المشرف مواضيع ذات أهمية بالغة، واخترت من بينها ما أراه أنسب لي، لأنه يتماشى مع ميولي ورغبتي في البحث والدراسة، كما أنني أرغب في دراسة موضوع مميز كهذا، حيث لاحظت أن الكثير من الطلبة يختارون مواضيع تتعلق بدراسة أحد مذاهب الأئمة الأربعة في بلدان أخرى. هذه الأسباب وغيرها دفعتني لاختيار دراسة جانب من تاريخ انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا كوني أحد أبناء هذه المنطقة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى تحقيق عدة أهداف رئيسية من بينها:

محاولة التعرف على تاريخ الغرب الأفريقي خاصة منه ما تعلق بارتباطه بالدين الإسلامي والمذهب المالكي على الأخص

محاولة التعرف على المذهب المالكي خاصة حياة مؤسسه وتلاميذه والمدارس الفقهية التي تشكلت من خلاله مثل المدارس: المدنية، المصرية، العراقية، والمغربية.

محاولة تقديم عرض عن تاريخ انتشار المذهب المالكي خاصة في غرب أفريقيا

إشكالية البحث:

تتركز إشكالية هذا البحث حول سؤال جوهري وهو ما هو تاريخ المذهب المالكي في غرب أفريقيا؟ ومن هم أبرز علمائه؟ كيف انتشر المذهب المالكي واستقر في غرب أفريقيا؟ وماهي العوامل التي ساهمت في ذلك؟ ثم من هم أبرز علماء المنطقة من أتباع المذهب المالكي الذين ساهموا في ترسيخ المذهب في هذه البلاد؟

جميع هذه الأسئلة هي مدار إشكالية هذا البحث الذي سنحاول دراسته وبيانه من خلال هذه الورقات.

المنهج المتبع:

المنهج المتبع يعتمد على المزج بين المنهج الوصفي والتحليلي، فالفصل الأول المتعلق ببيان ماهية المذهب المالكي ومعرفة الغرب الأفريقي يحتاج إلى وصف وتحليل لبعض العناصر المتعلقة بهذين الجانبين من جوانب البحث. أما الفصل الثاني المتعلق بالمسائل التاريخية والشخصيات المرتبطة بانتشار المذهب المالكي وتمكنه من الغرب الأفريقي فهو يتطلب المنهج التاريخي الوصفي كذلك لأنه عبارة عن تجميع واستقراء وعرض لهذا التاريخ المضيء من حياة الشعوب الإسلامية في غرب أفريقيا.

الدراسات السابقة:

من الدراسات المهمة التي اعتمدت عليها "فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي" لسحر عنتر محمد أحمد مرجان فقد ساعدني في الحديث عن عوامل انتشار المذهب المالكي في الغرب الأفريقي، كما ساعدني في الحديث عن الممالك التي نشأت في الغرب الأفريقي وكانت تدافع وتتبنى الدين الإسلامي مرجعا لها في سياستها.

كما اعتمدنا على كتاب:"المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة" لمحمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كربدية، والذي ساعدنا في تاريخ وجغرافية المنطقة الغربية من أفريقيا، وكذا بعض الجوانب المتعلقة بالمجتمعات والجناس والثقافات واللغات وحتى الجبال والوديان والأنهار والخيرات الكثيرة في غرب أفريقيا.

كما اعتمدت على كتاب"جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي" لعثمان برايما باري الذي أفادنا في تأثير الإسلام في التحضر والرقي الذي عرفته منطقة الغرب الإفريقي.

كما استفدت من بحث بعنوان"المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي" لزروق أسماء وعصيد لطيفة تحت إشراف الأستاذة طيب بوجمعة نعيمة وهو بحث لنيل شهادة الماستر في التاريخ بجامعة ابن خلدون في ولاية تيارت بالجزائر، وهو بحث تاريخي ينقصه البعد الفقهي، والملاحظ أن البحث قد اعتمد كليا على الدراسة السابقة التي أشرنا إليها:"فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي" لسحر عنتر محمد احمد مرجان.

وهناك بالإضافة إلى ذلك بعض البحوث والمجلات التي بحثت هذا الأمر من جوانب مختلفة غير الجانب الذي ركزنا عليه، فمنها من يبحث في التاريخ فقط، ومنها من يبحث في التصوف خاصة انتشار التصوف في افريقيا، ومنها من يهتم بالسياسة أو بالمجتمعات واللغات والثقافات وحتى الأجناس على اختلافها في منطقة الغرب الأفريقي، فقد أفدنا من هذه البحوث والمجلات والدراسات بحسب ما تسمح به ظروف بحث بسيط مثل بحثنا هذا.

الصعوبات والعوائق:

هذه أول مرة أتعرض فيها لتاريخ الغرب الأفريقي وهذا ما كان عائقا في البحث لقلة الزاد في هذا المجال، فالبرامج الدراسية في بلادنا تركز على تاريخ بلادنا النيجر وتاريخ أوروبا خاصة منه تاريخ الحروب العالمية الأولى والثانية.

من العوائق التي واجهتني قلة المراجع والكتب المتعلقة والمرتبطة بالبحث في المكتبة الجامعية، وهذا ما جعلني أستعين ببعض البحوث والدراسات المتوفرة في شبكة الانترنت، والمكتبة الشاملة التي سهلت لنا العمل لكنها لا تتوفر إلا على الكتب القديمة، ولا توجد فيها الدراسات والكتب المعاصرة، وهذه هي نقطة الضعف في هذه الموسوعة العلمية الرقمية التي لها الانتشار والقبول عند الكثير من الباحثين.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة

الفصل الأول: تعريف المذهب المالكي والغرب الإفريقي

المبحث الأول: تعريف المذهب المالكي

المبحث الثاني: الغرب الإفريقي

الفصل الثاني: تاريخ انتشار المذهب المالكي في الغرب الإفريقي وعلماؤه:

المبحث الأول: انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

المبحث الثاني: بعض علماء المذهب في الغرب الإفريقي

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

ملخص

فهرس

الفصل الأول:

تعريف المذهب المالكي والغرب الإفريقي

المبحث الأول:

تعريف المذهب المالكي

المطلب الأول: مؤسس المذهب المالكي

المطلب الثاني: مدارس المذهب المالكي وأشهر أعلامه

المبحث الثاني:

الغرب الإفريقي

المطلب الأول: التعريف بالمنطقة

المطلب الثاني: أهم مراكز الحضارة والثقافة في المنطقة

يدور العمل في هذا الفصل على محاولة الإجابة عن تساؤلات مهمة منها: ما هو المذهب المالكي؟ ولمن ينتسب هذا المذهب؟ وماهي مدارسه المختلفة التي نشأت في أثره؟ ومن هم أبرز أعلامه؟ وماهي منطقة الغرب الإفريقي؟ وماهي أهم المراكز الثقافية والحضارية للغرب الإفريقي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة سنقوم بتقسيم هذا الفصل إلى عدة مباحث أولها يتعلق بالمذهب المالكي ومدارسه وأعلامه، وثانيها يرتبط بمنطقة الغرب الإفريقي، ثم بالبحث عن المراكز الثقافية والحضارية للغرب الإفريقي.

المبحث الأول: تعريف المذهب المالكي

قبل التعريف بالمذهب المالكي يحسن بنا التعريف بالمذهب لغة واصطلاحا، جاء في التعريف اللغوي للمذهب أن المذهب اسم مصدر على وزن "مفعل" من الفعل "ذهب"، قال صاحب في المصباح المنير أحمد الفيومي: "ذهب ذهابا وذهوبا ومذهبا مضى وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته"[1]، أي سلك طريق أو منهج رجل أو شخص معين.

أما تعريف المذهب اصطلاحا فهو الأحكام التي ذهب إليها إمام من الأئمة[2] ، والمقصود بالمذهب المالكي "هو عبارة عما ذهب إليه من الأحكام الاجتهادية أي التي بذل وسعه في تحصيلها"[3]، أي ما ذهب إليه الإمام مالك من آرائه الاجتهادية وحررت، وما ذهب إليه أتباعه من اجتهاد وفق قواعده و أصوله تخريجا وترجيحا.

المطلب الأول: مؤسس المذهب المالكي

أحاول في هذا المطلب استعراض تاريخ شخصية مؤسس المذهب المالكي، لصاحبه الإمام مالك بن أنس رحمه الله، سأتحدث عن اسمه ونسبه ومولده، بالإضافة الى حياته العلمية المتميزة، مع تسليط الضوء على شيوخه وتلامذته، وأقوال العلماء فيه، ومصنفاته، ووفاته.

الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده

أولا: اسمه ونسبه

هو إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري، ثم الأصبحي، المدني، حليف بني تيم من قريش، وأمه هي عالية بنت شريك

---

[1] الفيومي أحمد بن محمد بن علي، (770ه)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت، (د ط) ،(د ت)،ج 1،ص 211.

2 أبو الحسن علي بن أحمد، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، دار الفكر بيروت، (د ط)، ت: يوسف الشيخ محمد، ج 1 ص 31.

[3] محمد بن أحمد بن أرفة، الشرح الكبير للشيخ الدرير وحاشية الدسوقي، دار الفكر د. ط، د. ن. ت، ج 1، ص 19.

الأزدية"[1]، الحميري نسبة إلى قبيلة حمير في حضرموت من اليمن، فأصل الإمام مالك من اليمن، حليف بني تيم بمعنى أنه دخل في حلف وحماية هذا الفرع من قريش وهو بنو تيم القرشيين.

ثانيا: مولده

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها الإمام مالك رحمه الله، وذلك راجع إلى أن المؤرخين القدماء ما كانوا يهتمون بسنة الميلاد اهتماما كبيرا كاهتمامهم بسنة الوفاة وأشهر هذه الأقوال ما اختاره الذهبي في سير أعلام النبلاء أنه ولد فِي سنة ثلاث وتسعين، عام موت أنس خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم[2].

الفرع الثاني: حياته العلمية

نشأ مؤسس المذهب المالكي الإمام مالك في بيت كان يتجه الى العلم ورواية الحديث، و إن كان أبوه لم يبلغ شأن جده في الرواية، ولا شأن عمه أبي سهيل، فلم يكن غريبا أن يتجه في أول نشأته إلى العلم والرواية، وكذلك كان له أخ طلب الحديث من قبل اسمه النضر كان ملازما للعلماء التابعين يأخذ عنهم، ولما اتجه مالك إلى الرواية كان يعرف بأخ النضر لشهرة أخيه[3]، وهكذا فالإمام مالك كان معروفا نسبة إلى أخيه النضر لأن النضر كان أول من بدأ التعلم ومخالطة العلماء من عائلة الإمام مالك، ووالده لم يكن معروفا من طينة العلماء والفقهاء بخلاف عمه أبو سهيل، وبخلاف جده الذي يبدو أنه كان ذا باع طويل في العلم.

وعمه "هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي. قد ذكرنا نسبه في ذكر نسب مالك، في صدر هذا الكتاب، وهو من ثقات أهل المدينة، روى عن أبيه مالك بن أبي عامر، والقاسم بن محمد، وعلي بن حسين، ويقال: إنه رأى ابن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وروى عنهم"[4].

أما جده هو مالك بن أبي عامر الأصبحي والد ابى سهيل بن مالك عم مالك ابن أنس حليف عثمان بن عبيد الله التيمى المدينى روى عن عمر وعثمان وطلحة وعائشة وابى هريرة وربيعة بن مجزر[5].

---

[1] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد، (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، 1405هـ- 1985م، ج8، ص 49.

[2] الذهبي، المرجع السابق، ج 8، ص 49.

[3] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، د. ت. ن، ص 367.

[4] أبو عمر بن عبد البر النمري، (ت:368- 463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت : بشار عواد وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي-لندن، ط1، 2017م ج 10 ص 187. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

[5] أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت:327هـ)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1271هـ،1952م، ج 8 ص 214.

ولقد كانت البيئة العامة و الخاصة توعز إليه بالاتجاه إلى العلم وطلبه وتنمي مواهبه، فقد كانت بيئة مدينة الرسول ـ صل الله عليه وسلم ـ ومهاجره الذي هاجر إليه، وموطن الشرع ومبعث النور ومعقد الحكم الإسلامي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، وكان عهد عمر هو العهد الذي انفتقت فيه القرائح الإسلامية تستنبط من هدي القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم أحكاما تصلح للمدنيات والحضارات التي أظلها الإسلام وسلطانه[1].

فحفظ القرآن الكريم في صدر حياته، ثم اتجه إلى حفظ الحديث، وجالس العلماء ناشئا صغيرا، ولازم أحد هؤلاء العلماء في عصره، وهو "عبد الرحمن بن هرمز" الذي أثر في مالك تأثيرا بليغا في هذه الفترة التي لم يخلطه بغيره، ثم جالس "نافع مولى ابن عمر" وأخذ عنه علما كثيرا، وأخذ الحديث عن "ابن شهاب الزهري"، بعد أن نال قسطا كبيرا من العلم، وصار ضابطا، حافظا أخذ منه الحديث كما أخذ الفقه عن "ربيعة الرأي "الذي كان يعترف لمالك بالفضل ويجلس معه في التلقي، كما أخذ عن يحي بن سعيد الأنصاري من بني النجار قاضي المدينة الذي أخذ عن الفقهاء السبع وكان حجة في الفقه[2].

تبين هذه اللمحة التاريخية عن عصر الإمام مالك تأثره بالثقافة العامة السائدة في ذلك العصر الذي كان من أبرز معالمه حفظ القرآن الكريم وحفظ سنة النبي عليه الصلاة والسلام ثم التخلق بأخلاق العلماء الربانيين كعبد الرحمن بن هرمز ونافع مولى ابن عمر وابن شهاب الزهري، ثم الأخذ بقسط وافر بعد ذلك من علوم شتى كعلم الفقه وغيره من العلوم.

كما يتبين لنا كذلك جهود الإمام مالك في اكتساب العلم وتعلمه من العلماء الكبار في عصره، فقد كان مكبا على العلم متابعا للعلماء طالبا منهم درر العلم ودرر الأخلاق والتربية، وهنا سنلحظ دوره في نشر العلم والتعليم في المدينة المنورة، وتأثيره الكبير في نشوء وتطور المذهب الفقهي الذي سيسمى لاحقا باسمه اعترافا بجهوده في حفظ سنة النبي عليه السلام والإرث العلمي والعملي الذي تركه الفقهاء السبعة ومن بعدهم في المدينة النبوية التي كانت عاصمة ومركز العالم الإسلامي لا يقضى في أمر إلا بعد مشورة واجتماع فقهاء الصحابة وجهابذتهم على رأي معين في أي مسألة مستجدة في ربوع البلاد الإسلامية.

---

[1] أبو زهرة محمد، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[2] سعود محمد عبد العزيز، المذهب المالكي مدارسه وأشهر مصطلحاته، مقالة في مجلة الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في القاهرة، المجلد2019 ، العدد36(30يونيو/حزيران2019)، جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، ص 1239.

الفرع الثالث: أشهر شيوخه وتلاميذه

مما لا شك فيه أن الإمام مالك رحمه الله قد أخذ عن كثير من العلماء، وسأذكر بعضا منهم:

1ـ عبد الرحمن بن هرمز:

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي قوله في تعريف عبد الرحمن بن هرمز: "هو فقيه المدينة، أبو بكر عبد الله بن يزيد بن هرمز الأصم، أحد الأعلام، وقيل: بل اسمه: يزيد بن عبد الله بن هرمز، وعداده في التابعين، جالسه مالك كثيرا، وأخذ عنه العلم"[1]، هنا يقدم لنا الذهبي صورة متكاملة عن عبد الرحمن بن هرمز مبينا نسبه ومكانته العلمية حيث يعده من الأعلام البارزين في طبقة التابعين، وقد لازمه مالك كثيرا، وأخذ عنه العلم، وقال الذهبي: "قال مالك: كنت أحب أن أقتدي به، وكان قليل الفتيا، شديد التحفظ، كثيرا ما يفتي الرجل ثم يبعث من يرده، ثم يخبره بغير ما أفتاه، وكان بصيرا بالكلام، يرد على أهل الأهواء، كان من أعلم الناس {...} قال بكر بن مضر: قال ابن هرمز: ما تعلمت الع8لم إلا لنفسي. وعن ابن هرمز، قال: إني لأحب للرجل أن لا يحوط رأي نفسه، كما يحوط السنة"[2]. هنا يعرض لنا الذهبي قول مالك على شيخه ابن هرمز حيث وصفه بأنه قدوة له بتحفظه في الفتيا ودقته، كثيرا ما يعيد النظر في فتواه إذا تبين له خطأ ويبلغ مستفتي بالتصحيح، كما كان بصيرا في الكلام، قادرا على الرد على أهل الهواء والبدع بمهارة، وينقل ابن بكر بن مضر عن ابن هرمز أنه تعلم لنفسه، وكما يؤكد ابن هرمز على أهمية عدم التمسك بالرأي الشخصي إذا تعارض مع السنة النبوية، وهذا يدل أنه مشددا في اتباع السنة.

2ـ ربيعة الرأي:

جاء في كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلي الخليلي قوله في تعريف ربيعة الرأي :"هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي من الأئمة بالمدينة، تابعي، ثقة، إمام، أستاذ مالك، مفتي وقته."[3]، هنا بين لنا نسبه ومنزلته العلمية فهو تابعي بمعنى أنه التقى الصحابة رضي الله عنهم وتعلم على أيديهم، وكذلك هو إمام ثقة في نقل الحديث وهو شيخ الإمام مالك فقد اخذ الإمام مالك العلم عن ربيعة الرأي، وسمي بربيعة الرأي لاهتمامه بالرأي، وبسبب مكانه العلمية العظيمة كان الناس يأتون إليه لاكتساب العلم والأدب فقد ذكر دردور صاحب تاريخ الفقه الإسلامي قوله في ربيعة الرأي بأنه "كان يجلس إليه وجوه الناس، ويحضر في مجلسه أربعون معتما، وعنه أخذ الإمام مالك وبه تفقه. أدرك جماعة من الصحابة

---

[1] الذهبي، المرجع السابق، ج 6، ص 379.

[2] الذهبي، المرجع نفسه، ج 6، ص379.

3 أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد بن أحمد، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد عمر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ، ج 1، ص 208.

وروي عن أنس بن مالك وسائب بن يزيد وحنظلة بن قيس وسعيد بن المسيب والقاسم بن محمد. وقد شهد التابعون وتابعوهم له بالفضل والعلم"[1]. وقد أبرز لنا دردور مكانة ربيعة الرأي العلمية بأنه عالم يحضر جماعة من العلماء إلى مجلسه العلمية ليستفيدوا من علمه وهو من طبقة التابعين وعنه أخذ الإمام مالك الفقه، وري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم. ونقل دردور عن يحيى بن سعيد "قال يحيى بن سعيد: :ما رأيت أفطن من ربيعة، وكان إمام مالك يقول ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي"[2]، هنا يفيد لنا شهادة يحيى لذكاء ربيعة الرأي كما شهد له تلميذه الإمام مالك بتبحره وتعمقه في الفقه.

3ـ نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم:

قال الخليلي عند تعريفه لنافع مولى ابن عمر:"نَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، إِمَامٌ فِي الْعِلْمِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، صَحِيحُ الرِّوَايَةِ"[3]، هنا يصف الخليلي نافع بأنه من أئمة التابعين، وهذا يدل على مكانته الرفيعة بين علماء الجيل الثاني من المسلمين بعد الصحابة، وكذلك أن العلماء أجمعوا على مكانته العلمية وثقتهم به وعلى صحة روايته مما يدل على أنه مرجعا مهما في نقل الحديث والعلم في المدينة المنورة.

قال دردور في كتابه تاريخ الفقه الإسلامي في تعريف نافع مولى ابن عمر: "هو أبو عبد الله نافع بن سرجس الديلمي مولى عبد الله بن عمر"[4]. هنا يبين لنا نسبة نافع وولاؤه لعبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وقال دردور كذلك أنه"روى عن مولاه عبد الله بن عمر وعن نافع بن خديج وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة رضي الله عنها وغيرهم من الصحابة، وكان مالك يقول: كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر، لا أبالي أن أسمعه من أحد، وقال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر"[5]، هنا يوضح لنا دردور مكانته المرموقة في علم الحديث وهو مشهور بعلمه، روي عن كبار الصحابة، وقد أثنى عليه طالبه مالك بن أنس، وشهد له بالعلم حيث أشار الى ثقته في الحديث، وأكد ذلك البخاري،

[1] إلياس دردور، تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، (د ط)، ص 214.

[2] إلياس دردور، المرجع السابق، ص 214.

[3] أبو يعلى الخليلي، المرجع السابق،ج1،ص205.

[4] إلياس دردور، المرجع السابق، ص 206

[5] إلياس دردور، المرجع نفسه ص 206.

4ـ أبو الزناد:

جاء في كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم في تعريفه لابن الزناد "هو عبد الله بن ذكوان أبو الزناد"[1]. ومن الذين روى عنهم الحديث الصحابة مثل أنس وعبد بن جعفر، قال ابن أبي حاتم:"روى عن أنس، وعن عبد الله بن جعفر وأبي سلمة بن عبد الرحمن والأعرج."[2]، وقد روى عنه الكثير من الفقهاء ومنهم الإمام مالك قال ابن أبي حاتم: "روى عنه مالك والثوري وابن عيينة وابنه عبد الرحمن"[3]، هنا يبين لنا اسمه و نسبه وقد روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه الكثير من الفقهاء ومنهم إمام دار الهجرة.

وجاء في طبقات الفقهاء للشيرازي: "عبد الله بن ذكوان: مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس، وكان كنيته أبو عبد الرحمن، وغلب عليه أبو الزناد."[4]، وهكذا فأبو الزناد هو عبد الله بن ذكوان من موالي بني عبد شمس من قريش، وكان يكنى بأبي عبد الرحمن، وغلبت تسميته بأبي الزناد.

وقال الشيرازي كذلك:"روي أنه وفد على هشام بن عبد الملك بحساب ديوان المدينة فسأل هشام ابن شهاب: أي شهر كان يخرج فيه العطاء لأهل المدينة؟ فقال: لا أدري، قال أبو الزناد: فسألني هشام فقلت: المحرم، فقال هشام لابن شهاب: يا أبا بكر هذا علم أفدته اليوم، فقال ابن شهاب: مجلس أمير المؤمنين أهل أن يفاد منه العلم"[5]. وهذه الرواية تدل على نباهة وحفظ أبو الزناد كما تدل على الحظوة التي كانت له عند الخلفاء الأمويين ومنهم هشام بن عبد الملك.

ثانياً: التلاميذ

كان للإمام مالك رحمه الله العديد من التلاميذ الذين أخذوا عنه العلم واستفادوا من معارفه، سنذكر أبرزهم:

1ـ عبد الرحمن بن القاسم:

قال الحجوي في تعريف عبد الرحمن بن القاسم هو "أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري الفقيه، روى عن مالك، والليث، ونافع، وطالت صحبته لمالك نحو عشرين سنة، ولم يخلط علمه

---

[1] ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-بحيدر-آباد الدكان-الهند دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1271-1952م، ج 5، ص 49.

2 ابن أبي حاتم، المرجع السابق، ج 5، ص 49.

3 ابن أبي حاتم، المرجع السابق، ج 5، ص 49.

[4] الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: 476ه)، طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، تح: إحسان عباس ط1، 1970م، ص66.

[5] المرجع نفسه، ص66.

بغيره، حتى قيل: إنه لم يخالفه إلّا في أربعة مسائل، ذكرها ابن ناجي في الزكاة من شرح المدونة[1]". هنا يوضح لنا اسمه ونسبه وأنه كان مصريا فقيها، فقد تتلمذ على يد مالك لمدة عشرين سنة، وأنه لم يخلط علمه بغيره من المذاهب الفقهية، إذ هو متمكنا في الفقه المالكي ولم يخالف شيخه إلا أربع مسائل فقط وفقا لقول ابن ناجي في شرح المدونة. وينقل الحجوي عن يحي بن يحي "قال فيه يحي بن يحي أعلمهم بعلم مالك وآمنهم عليه، قال أبو زرعة عنده ثلاثمائة مجلد عن مالك مسائل مما سأله أسد بن الفرات المغربي."[2]، هنا يبرز لنا شهادة يحي بن يحي التي تؤكد مكانة ابن القاسم في نقل وتوثيق علم مالك، كما يذكر لنا أبو زرعة أن ابن قاسم جمع ثلاثمائة مجلد من مسائل الإمام مالك التي سأله عنها أسد بن الفرات، مما يبرز دوره الكبير في حفظ ونقل الفقه المالكي. وجاء في الأعلام للزركلي" بأن ابن القاسم ولد بمصر وتوفي بها، وهو فقيه جمع بين الزهد والعلم وقد تعلم الفقه من مالك ونظرائه، واستقر على الأخذ بالمذهب المالكي، وقد روى المدونة عن مالك" [3].

2- يحي بن يحي الليثي:

ورد في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه ليحي بن يحي الليثي" هو يحي بن يحي بن بكير بن وسلاس بن شملل بن صيغا، يكنى أبا محمد، قال الأصيلي:"ويحي أبوه هو المكنى بأبي عيسى، وهو من مصمودة طنجة وينتمي إلى بني ليث، ولا يعلم على الصحة سبب ذلك"[4]. هنا يبين لنا نسب يحي بن يحي الليثي وينقل الذهبي عن الأصلي أنه يكنى بأبي محمد، وأن أصله يعود الى قبيلة مصمودة من طنجة وينتمي نسبه الى بني ليث، كما يشير الى أن والده، الذي كان يكنى بأبي عيسى ينتمي لنفس القبيلة، لكن سبب تسميته بهذا الإسم غير معروف بدقة، وكما ينقل عن الرازي في كتاب الاستعاب "قال الرازي في كتاب الاستيعاب: هو من مصمودة من مضارة قبيلة منها، دخل يحي بن وسلاس، مع ابن أخيه نصر بن عيسى في جيش طارق، وأسلم وسلاس جدهم، على يدي يزيد ابن عامر الليثي، ليث كنانة. فهذا والله أعلم -سبب انتمائهم إلى ليث، قال الرازي: ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس، وهو جد يحي، وولي ابنه يحي الجزيرة، وشذونه، وطلب يحي ابنه العلم"[5]. وجاء في الأعلام للزركلي أن يحي بن يحي الليثي من علماء الأندلس أصله بربري قرأ بقرطبة ثم رحل إلى المشرق فسمع الموطأ عن الإمام مالك وأخذ عن علماء مكة

---

[1] الحجوي، محمد بن الحسن بن العربي (ت: 1376هـ)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج1، ص 516.

[2] الحجوي، المرجع نفسه ج1، ص 516.

[3] الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، 2002م، ج3، ص323.

[4] القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى(ت:544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك تح: عبد القادر صحراوي، مطبعة الفضالة المحمدية، المغرب، ط 1، 1966م، ج،3 ص 37.

[5] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج،3 ص 37.

ومصر، وعندما عاد إلى بلاده في الأندلس نشر المذهب المالكي وطلب منه السلطان تولي القضاء فترفع عن ذلك وأشار على السلطان باختيار بعض العلماء لتولي هذا المنصب من أتباع المذهب المالكي، فكان ذلك سببا لاحترام السلطان والعامة له"[1].

3ـ إسحاق بن الفرات بن الجعد بن سليم:

جاء في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه لإسحاق بن الفرات"هو أبو نعيم مولى معاوية بن حديج الكندي، قاضي مصر"[2] هذا يفيد لنا اسمه ونسبه مبينا لولائه بمعاوية بن حديج الكندي.

وقد نقل القاضي كلام العماء عليه "قال ابن وضاح: كان من أكابر أصحاب مالك، ولقى أبا يوسف وأخذ عنه، قال الكندي: كان فقيهاً. قال الشافعي: ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من إسحاق ابن الفرات. وقال إبراهيم بن علية: ما رأيت ببلدكم أحداً يحسن العلم إلا إسحاق بن الفرات، ولي القضاء بمصر سنة أربع وثمانين ومائة فكان شديداً رفيقاً."[3]. وجاء في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني :"قال ابن الحكم: ما رأيت فقيها أفضل منه وكان عالما، وقال أبو حاتم: شيخ ليس بالمشهور، وقال ابن يونس: كان فقيها ولي القضاء بمصر خليفة لمحمد بن مسروق الكندي، وفي أحاديثه أحاديث كأنها منقلبة، توفي بمصر لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 204[4]

ولما كان ابن حجر من شراح الحديث فإننا سنجده يعرف بابن الفرات مع الإشارة إلى أنه رجل غير مشهور في التحديث، بل أحاديثه فيها قلب، وهذا لا يهمنا بقدر ما يهمنا أن ابن الفرات من علماء المذهب المالكي وأنه فقيه ولي القضاء في مصر وتوفي بمصر.

الفرع الرابع: أقوال العلماء فيه

قال الفضل زين الدين عبد الرحيم: ينقل عن الشافعي "قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال أيضا: مالك حجة الله على خلقه، وقال أيضا: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. وقال أحمد: مالك أثبت في كل شيء"[5].من هذه الأقوال يتبين لنا فضل مالك فالشافعي تلميذ مالك يشهد له بأنه قد

1 الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص176.

2 8 القاضي عياض، المرجع السابق، ج3، ص281.

83 القاضي عياض، المرجع نفسه ، ج3، ص281.

4 ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي(ت:852ه)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند، ط1، 1326ه، ج 1، ص 246.

5 أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم (ت 430ه)، طرح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، د. ط، د. ت. ط، ج 1، ص 94.

حفظ الحديث والآثار وهو حجة على العلماء، ولولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الفقهاء الحجازيين، وأما أحمد ابن حنبل تلميذ الشافعي والذي لم يتتلمذ على الإمام مالك فإنه يشهد له بالثقة والعدالة والحفظ فكل ما رواه الإمام مالك لا نقاش حوله بل هو من الصحيح الثابت عند العلماء.

وجاء في سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي أن "ابن عيينة قال: مالك عالم أهل الحجاز، وهو حجة زمانه"[1].فهذا ابن عيينة يشهد لمالك رحمه الله بالعلم وأنه حجة على بقية العلماء في الحجاز.

ونقل الذهبي عن كثير من العلماء أقوالهم في مالك فهذا أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: "ما رأيت أعلم من أبي حنيفة، ومالك، وابن أبي ليلى "[2]. فهو يشهد لأبي حنيفة ومالك وابن أبي ليلى بالفضل والعلم كما ينقل الذهبي تفضي أحمد بن حنبل لمالك وتقديمه له على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد، والحكم، في العلم، فهو إمام في الحديث والفقه، كما يشير إلى رأي ابن معين الذي رى أن مالكا من حجج الله على خلقه، وينقل عن أسد بن الفرات أن من يريد الله والدار الآخرة فعليه باتباع الإمام مالك"[3]. وجميع هذه الأقوال تبين صراحة مكانة الإمام مالك العلمية سواء في الفقه أو الحديث أو التربية والأخلاق.

عقد بعض العلماء مقارنة بين مالك وأبي حنيفة وتوصلوا إلى أفضلية الإمام مالك بسبب جمعه للحديث والفقه بخلاف أبي حنيفة الذي كان مقلا من رواية الحديث وكان ميالا للرأي، فهذا ابن المبارك تلميذ أبي حنيفة يرى فضل مالك على شيخه، وذلك بسبب جهود مالك في حفظ السنة بخلاف أبي حنيفة رضي الله عنهم جميعا، فهو آمن الناس على حديث الرسول عليه الصلاة والسلام"[4].

كما ينقل القاضي عياض أقوالا عديدة في بيان فضل الإمام مالك ومن أقوال هؤلاء العلماء نجد قول السيوطي نقلا عن ابن مهدي في تقديم مالك على سفيان الثوري وسفيان ابن عيينة، ابن مهدي هو عبد الحمن بن مهدي المعروف بالبصري اللؤلؤي من كبار حفاظ الحديث له تصانيف في الحديث وقد ولد ومات بالبصرة في القرن الثاني للهجرة[5]، وينقل القاضي عياض قول أحمد بن حنبل الذي يفضل حديث مالك ورأيه على حديث ورأي غيره، كما ينقل رأي يحيى بن سعيد القطان في أفضلية الإمام مالك في الفقه[6]، ويحيى بن سعيد هذا يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي من حفاظ الحديث، وهو من

1 الذهبي، المرجع السابق، ج 8، ص 57.

2 الذهبي، المرجع نفسه، ج 8 ص 94.

[3] ينظر: الذهبي، المرجع نفسه، ج 8 ص 94.

[4] ينظر: القاضي عياض، المرجع السابق، ج7، ص17.

[5] ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص393.

[6] القاضي عياض، المرجع السابق، ج 7، ص 17.

أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة وكان يفتي بقول أبي حنيفة"[1]. وهكذا فأقران مالك يشهدون له بالعلم والفضل على غيره من العلماء والفقهاء.

الفرع الخامس: مصنفاته ووفاته

أولا: مصنفاته

مؤلفات مالك رحمه الله كثيرة ومتنوعة، وتشمل مجموعة واسعة من المواضيع الفقهية والتاريخية والأخلاقية وغيرها. ومن أبرز مؤلفاته:

1-كتاب الموطأ:

جاء في المسالك في شرح الموطأ قول ابن العربي: "كتاب الموطأ الذي لم يسبق إلى مثله"[2]، وهنا يؤكد ابن العربي أسبقية الإمام مالك في تأليف مثل هذه المؤلفات الحديثية القيمة التي تحفظ سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم يضيف ابن العربي مستشهدا على ما ذهب إليه بأقوال عدة منها قول ابن مهدي:"ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ ولا أصح بعد القرآن منه"[3]. فابن مهدي يعتبر الموطأ من أصح الكتب بعد القرآن، ثم يستدل بقول الشافعي:"ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك وما على الأرض أصح منه وفي رواية أفضل منه"[4]، فهذا الإمام الشافعي صاحب المذهب وتلميذ مالك يشهد بأن كتاب الموطأ أكثر صوابا فائدة بعد كتاب الله عز وجل، ثم يضيف مستشهدا بقول إمام آخر من أئمة المذاهب وهو الإمام أحمد بن حنبل الذ قال:"ما أحسنه لمن تدين به وقد أكثر الناس مدحه نثرا ونظما واعتنى العلماء به شرحا وكلاما على الرجال والأسانيد وغير ذلك ورواه عن مالك خلق كثير"[5]، فهذا أحمد بن حنبل يشير الى حسن الكتاب لمن يتدين به معبرا عن سهولة استخدامه وفائدته العلمية، كما أشار إلى إكثار الناس من مدح الكتاب سواء نثرا أو نظما، واعتناء العلماء بشرحه ودراسته، وهكذا فالموطأ لم يكن مجرد كتاب بل مؤسسة علمية بذاتها استفاد منها طلاب العلم والمحدثون.

يذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك هذا الكتاب الذي تناول تاريخ المذهب المالكي وركز فيه على شيخ المذهب وبين أصول المذهب وتحدث فيه عن مؤلفات الإمام مالك وتلاميذه وأتباع المذهب البارزين في

---

[1] ينظر: الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص147.

[2] ابن العربي المالكي القاضي محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ)، المسالك في شرح موطأ مالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428هـ-2007م، ج 1، ص 121.

[3] المرجع نفسه، ج1،ص121.

[4] المرجع السابق، ج1، ص121.

[5] المرجع نفسه، ج1، ص121.

العصور السابقة، وعندما بين مؤلفات الإمام مالك أشار إلى نقطة مهمة وهي أن هذه الكتب كلها مروية عن مالك أبرزها الموطأ كما أشرنا إليه من قبل، وأما الكتب الأخرى المروية عنه فيقول عنها:"اعلموا وفقكم الله أن لمالك رحمه الله أوضاعا شريفة مروية عنه، اكثرها بأسانيد صحيحة، في غير فن من العلم، لكنه لم يشتهر عنه منها[...] غير الموطأ"[1]. وهكذا فالعديد من الكتب مروية عن الإمام مالك لكنها لم تعرف الشهرة التي عرفها الموطأ، ومن هذه الكتب مايلي:

2- تأليفه رسالته إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية. قال القاضي عياض: هي من أجل الكتب في هذا الباب وتدل على سعة علمه بهذا الشأن،

3-ومنها كتابه في النجوم حساب دوران الزمان ومنازل القمر وهو كتاب حسن مفيد اعتمد عليه الناس في هذا الباب وجعلوه أصلا.

4-ومنها رسالته في الأقضية كتب بها إلى بعض القضاة عشرة أجزاء

5-ورسالته إلى ابن غسان في الفتوى وهي مشهورة

6-ورسالته إلى هارون الرشيد في الأدب والمواعظ.

7-ومنها كتابه في التفسير لغريب القرآن

8-ومنها رسالته إلى الليث في إجماع أهل المدينة"[2].

و هذا كله يوضح لنا تنوع المجالات التي تناولها الإمام مالك في مصنفاته، ويظهر سعة علمه في الفقه والتفسير والقضاء والأدب وغيرها من العلوم.

ثانيا: وفاته

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد ذكر وفات إمام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمه الله :

وقد شرح ابن سعد ظروف وفاة الإمام مالك حيث بين أنه بعد تشهده ذكر الآية الرابعة من سورة الروم التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ [الروم: 4][3].

وبالنسبة لتغسيل الإمام مالك فقد ذكر لنا ابن سعد من قام بغسل الإمام دار الهجر بعد وفاته وكذلك أشار إلى أن عدة أشخاص نزلوا إلى قبره عند دفنه حيث يقول:" وغسله ابن كنانة وابن أبي زنبر

---

[1] القاضي عياض

[2] ينظر : القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص90، وينظر كذلك: الحطاب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد، (ت 954ه)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412ه-1992م، ج 1، ص30.

[3] ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع، (ت: 230ه) الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1410 ه - 1990 م، ج5،ص496. ينظر:القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص146.

وابنه يحيى وكاتبه حبيب يصبان عليه الماء ونزل في قبره جماعة" [1]. هذا كله يبرز لنا تفاصيل غسل ودفن الإمام مالك.

وبين لنا ابن سعد الوصية التي تركها الإمام مالك قبل وفاته حيث أمر بأن يكفن في ثياب بيضاء، وأن يصلى عليه في موضع الجنازة وذلك في قوله "وأوصى ان يكفن في ثياب بيض وان يصلى عليه في موضع الجنازة"[2].

ولا يزال ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى يذكر لنا تاريخ وفاة إمام مالك حتى بين لنا شخصية من صلى عليه صلاة الجنازة قائلا: "وَصَلَّى عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ ابْنُ زَيْنَبَ بِنْتِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، بأمه كان يُعرف"[3].

وابن سعد صاحب الطبقات الكبرى تناول ذكر اختلاف المؤرخين في تحديد يوم وفاة الإمام مالك إلى أن وصل إلى بيان القول الراجح عنده حيث قال: "وقد اختلفوا في يوم وفاته والصحيح أنه توفي يوم الأحد ولتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه"[4].

تاريخ وفات مالك بن أنس، يظل موضوعا مهما في تاريخ الإسلام والعلماء المسلمين. ومن خلال الوصف الدقيق لظروف وفاته ومراسم الدفن، يظهر احترام العلماء والمجتمع لشخصيته وعلمه.

المطلب الثاني: مدارس المذهب المالكي وأشهر أعلامه

وفي هذا المطلب نتكلم عن نشأة المذهب المالكي وانطلاقه من المدينة المنورة على يد المؤسس إمام دار الهجرة الذي عمل على تمهيد الطريق لتلاميذه من بعده. قال الشيرازي:" وأما مالك رضي الله عنه فقد انتقل فقهه إلى أصحابه من أهل المدينة وأهل مصر وأهل إفريقية وأهل الأندلس"[5]. فأبو إسحاق الشيرازي يبين لنا المدارس التي تولدت عن المذهب المالكي وهي المرسة المدنية والمصرية والعراقية والأفريقية ثم الأندلسية.

الفرع الأول: نشأة المدرسة المدنية

جاء في كتاب المذهب المالكي مدارسه ومؤالفته وخصائصه وسماته لمحمد المختار في نشأة المدرسة المدنية "لقد نشأت هذه المدرسة وتطورت على يد رجال أفذاذ من تلامذة الإمام مالك رحمه الله برزوا في

---

[1] ابن سعد، المرجع نفسه، ص 146.

[2] ابن سعد، المرجع نفسه، ص 146.

[3] ابن سعد، المرجع نفسه، ص 146.

[4] ابن سعد، المرجع نفسه، ص146.

[5] الشيرازي، مرجع سابق، 146.

العلم في حياته، واحتلوا مكانته العلمية بعد وفاته، وهم تلامذة كثر"[1] يبرز لنا محمد المختار نشأة وتقدم المدرسة المدنية التي تأسست وتطورت على يد مجموعة من تلاميذ الإمام مالك الذين كانوا بارعين في العلم والفقه حتى في حياته، وامتدوا منزلته العلمية بعد وفاته، وهؤلاء تلاميذه كانوا كثر.

ومن بين هؤلاء التلاميذ هناك من أكثرهم شهرة في نشر وتعزيز هذه المدرسة المدنية وبين لنا ذلك محمد المختار في قوله"إلا أن أكثرهم لمعاناً وأبرزهم صيتاً، عثمان بن كنانة (ت:185ه) الذي قعد في مجلس مالك بعد وفاته وكان مقرباً لديه في حياته، وعبد الله بن نافع الصائغ (ت186ه)، الذي جلس مجلس ابن كنانة بعد وفاته. وكان مالك قد أشار له بالخلافة من بعده، بعدما سئل من لهذا الأمر بعدك؟ قال : ابن نافع، والمغيرة بن عبد الرحمن (ت: 186ه)، محمد بن إبراهيم بن دينار (ت 182 ه) اللذين قال فيهما ابن حبيب «أفقه أهل المدينة»" ومحمد بن مسلمة الذي قيل عنه أنه جمع العلم والورع وأنه كان أفقه أصحاب المالك وعبدالمالك بن الماجشون ومطرف بن عبدالله الإمامان اللذان حملا لواء هذه المدرسة ردحا من الزمان حتى عدا أشهر من نشر علم مالك ورحل إليهما الناس فيه"[2].

جاء في كتاب "المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها" عند الحديث عن مدرسة المدينة: "وظلت قوية نشطت في أداء رسالتها، وبث إشعاعها على كل بلاد الإسلام، يرحل إليها من إفريقية، والأندلس، ومصر، والعراق وغيرها من البلاد الى أن أصابها ما أصاب المدرسة السنية بسيطرة العبيديين على المدينة منتصف القرن الرابع، حتى خلت المدينة نهائيا من نشاط أهل السنة، ثم استعادت مكانتها ونشاطها بظهور قاضي المدينة ابن فرحون (ت:699) وتميزت هذه المدرسة بالتزامها منهج الإعتماد على الحديث النبوي بعد القرآن مرجعا لأحكام، دون نظر إلى كون عمل الصحابة والتابعين"[3]. هذا القول يبين لنا أن المدرسة المدنية كانت مركزا علميا نشاطا يرحل إليه الطلاب من مختلف البلاد الإسلامية لدراسة الشريعة، حيث اعتمدت على الحديث النبوي كمصدر الرئيسي لأحكام الشريعة بعد القرآن، لكن نشاط هذه المدرسة تراجع بشكل كبير عندما سيطر العبيديون على المدينة في منتصف القرن الرابع الهجري، ما أدى إلى غياب أهل السنة، ومع ذلك استعادت نشاطها ومكانتها بظهور القاضي ابن فرحون في القرن الثامن الهجري.

---

[1] محمد المختار المامي، المذهب المالكي مدارسه ومؤالفته وخصائصه وسماته، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط1، 1422ه، ص 45.

[2] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص 45.

[3] أحمد الحجي الكردي وآخرون، وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء في الكويت، المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها، د م ن، ط1، 1436ه،2015م، ص 86.

ثانيا: أشهر أعلامها

1ـعبد العزيزبن أبي حازم

جاء في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه عبد العزيز بن أبي حازم "اسمه أبي حازم سلمة بن دينار الفقيه الأعرج مولى أسلم، وقال ابن شعبان: مولى بني ليث كناه غير واحد أبو تمام وكناه أبو إسحاق الشيرازي أبو عبد الله، والأول أصح. وقال آخر: أبو اليمان وهو تصحيف من أبي تمام والله اعلم تفقه مالك على ابن هرمز وسمع اباه والعلاء بن عبد الرحمان، وزيد بن اسلم، وسهيل بن أبي صالح، وثور بن زيد، ويزيد بن المناذر ومالكاً، وكان من جلة أصحابه"[1]، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء "حدث عنه: الحميدي، وسعيد بن منصور، وأبو مصعب، والقعنبي، وعلي بن حجر، وعمرو الناقد، ويعقوب الدورقي، ويحيى بن أكثم، وبشر كثير، وكان من أئمة العلم بالمدينة، قال أحمد بن حنبل: لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من عبد العزيز بن أبي حازم"[2].

2ـ عثمان بن عيسى بن كنانة

جاء في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية لقاسم علي سعد قوله في تعريف عثمان بن عيسى: "هو عثمان بن عيسى بن كنانة أبو عمرو، وكنانة مولى عثمان بن عفّان رضي الله عنه، المدني، الفقيه، وينسب إلى جده، صحب مالك بن أنس وكان من كبار أصحابه"[3]، هذا يفيد أن كنانة، مولى عثمان بن عفان كان يكنى أبا عمرو، حفيده عثمان كان من أهل المدينة ومن فقهائها، وقد نسب إلى جده، و كان من أصحاب الإمام مالك البارزين.

قال بن عبد البر: "كان فقيها من فقهاء المدينة، أخذ عن مالك، وغلب عليه الرأي، وقعد مقعد مالك بعده"[4]، هذا يبين لنا أنه كان من فقهاء المدينة تتلمذ على يد الإمام مالك، وكان غالبا ما يعتمد على الرأي في الفقه، كما أنه تولى مجلس الإمام مالك بعد وفاته.

كما قال عنه ابن عبد البر:""وليس له في الحديث ذكر. وقال يحيى بن بكير: لم يكن عند مالك أضبط ولا أدرس من ابن كنانة"[5]، هنا يوضح لنا أنه لم يكن من حفاظ الحديث، وهذا ظاهر وجلي عندما نعلم أنه كان يعتمد الرأي، وكان عثمان بن عيسى من أفضل تلاميذ الإمام مالك من حيث الضبط والدراسة.

---

[1] القاضي عياض، المرجع السابق ج 3، ص 9.

[2] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله، المرجع السابق، ج 8، ص 363.

[3] قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث دبي، ط1، 2002م، ج 2، ص 832.

[4] قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ج 2، ص 832.

[5] قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ج 2، ص 832.

وفي ترتيب المدارك وتقريب المسالك قال القاضي بن عياض "وكان مالك إذا مل من حبس الكتاب علينا أسلمه إلى حبيب كاتبه، وربما إلى ابن كنانة وهو الذي قعد في مجلس مالك بعد وفاته، وقيل بل جلس فيه يحيى بن مالك أولاً، وجلس فيه بعد ابن كنانة عبد الله بن نافع الصائغ"[1]، يبين لنا القاضي أن الإمام مالك كان يسلم الكتاب إلى كاتبه حبيب أو إلى ابن كنانة عندما يمل من الكتابة، وبعد وفاة مالك تولى ابن كنانة مجلسه، ولكن قيل إن يحيى بن مالك جلس فيه أولا، ثم جلس فيه بعد ابن كنانة عبد الله بن نافع الصائغ.

وجاء عن القاضي عياض:" وكان ابن كنانة ممن يخصه مالك بالأذن عند اجتماع الناس على بابه. فيدعى باسمه هو وابن زنبر وحبيب اللئالي المعروف ببابين. فإذا دخلوا ودخل غيرهم ممن يخصه أذن للعامة. قال يحيى: كان يجلس ابن كنانة عن يمين مالك لا يفارقه"[2]، هنا يوضح القاضي أن الإمام مالك كان يميز ابن كنانة بإذن خاص للدخول عند اجتماع الناس على بابه، مع ابن زنبر وحبيب اللئالي. بعد دخولهم ومن يخصه مالك، يأذن للعامة بالدخول، ويذكر يحيى أن ابن كنانة كان يجلس دائما عن يمين مالك ولا يفارقه.

3- محمد بن مطرف

جاء في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية لقاسم علي سعد قوله في تعريف محمد بن مطرف " هو محمد بن مطرّف وقيل: ابن طريف - بن داود بن مطرّف أبو غسان اللّيثي، ويقال: من موالي عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[3]، هنا يبن لنا نسبه مشيرا إلى أنه يعرف بأبي غسان الليثي، وأن هناك احتمالا بأنه من موالي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وجاء في تعريف محمد بن مطرف كذلك:"المدني نزل عسقلان الشام، المحدّث صحب مالك بن أنس - وشاركه في كثير من رجاله"[4]، فهو مدني عاش بعد ذلك في الشام وكان محدثا ومن أصحاب مالك وشاركه في كثير من رواة الحديث.

وقال عنه القاضي عياض: "سمع زيد ابن أسلم وأبا حازم ومحمد بن المنكدر وشاركه مالك في كثير من رجاله. سمع من ابن المبارك ويزيد بن هارون وابن أبي يحيى وعيسى بن يونس وعلي ابن عياش"[5]، هذا

---

[1] القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص 21.

[2] القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص 21.

[3] قاسم علي سعد المرجع السابق، ج 3، ص 1203.

[4] قاسم علي سعد المرجع نفسه، ج 3، ص 1203.

[5] القاضي عياض، المرجع السابق ج 3، ص33

يوضح لنا أن محمد بن مطرف المدني كان محدثا نزل عسقلان في الشام، وقد كان رفيقا للإمام مالك وشارك معه في كثير من شيوخه، سمع من زيد بن أسلم وأبي حازم ومحمد بن المكندر، وكان مالك يشاركه في كثير من هؤلاء الشيوخ، كما أنه تتلمذ على يد ابن المبارك و يزيد بن هارون وابن أبي يحيى وعيسى بن يونس وعلي بن عياش.

وعن القاضي عياض كذلك:"قال أبو حاتم فيه: ثقة. وقال ابن معين والنسائي والبزاز وابن السكري لا بأس به. وقال ابن السكري وابن بكير لا بأس به وقال ابن الرقي: احتملنا حديثه لأنه روى عنه الثقات"[1]، فهو من الثقات في رواية الحديث حسب شهادة الكثير من نقاد الحديث.

1 القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3، ص33.

الفرع الثاني: نشأة المدرسة المصرية

أولاً: نشأة المدرسة

جاء في كتاب المذهب المالكي مدارسه ومؤالفته وخصائصه وسماته لمحمد المختار في نشأة المدرسة المصرية: "تعد المدرسة المصرية أول مدرسة مالكية تأسست بعد مدرسة المدينة المنورة، وذلك بجهود كبار تلاميذ مالك رحمه الله، الذين أخذوا عنه علمه ثم رحلوا إلى مصر، ليعلموه الناس"[1]، هنا يبرز لنا تأسيس المدرسة المدنية التي تعتبر أول مدرسة مالكية خارج المدينة المنورة بفضل جهود تلاميذ مالك.

ومن تلاميذ مالك الذين أسسوا المدرسة المصرية:"عثمان ابن الحكم الجذامي (ت163ه)، وعبد الرحيم بن خالد الجمحي (ت163ه)، اللذين يعتبران أول من قدم مصر بمسائل مالك، ومن بعدهما طليب بن كامل اللخمي (173ه)، وسعيد بن عبد الله المعافري (ت173ه)، وغيرهم ممن كانت له اليد الطولي، في نشر مذهب مالك رحمه الله في مصر"[2]، هنا ذكر لنا محمد المختار بعض تلاميذ إمام مالك الذين نقلوا تعاليم مالك إلى مصر وتابعهم علماء آخرون في نشر هذا المذهب.

و كما قال محمد المختار المامي:"وعن هؤلاء العلماء، أخذ أقطاب هذه المدرسة ومؤسسوها الحقيقيون، كابن القاسم (ت:191ه)، وأشهب (ت 203ه)، وعبد الله بن الحكم (ت:214ه)، قبل رحلتهم إلى مالك رحمه الله، التي كان الهدف منها – فيما يبدو خاصة عند ابن القاسم – التوثق مما أخذوا عن شيوخهم من تلاميذ مالك، أو نيل شرف علو الإسناد"[3] .هنا يوضح لنا أن ابن قاسم وأشهب وعبد الله بن عبد الحكم كانوا من مؤسسي المدرسة المالكية في مصر من خلال التدريس والتأليف.

ونقل القاضي عن ابن قاسم قوله:"ما خرجت إلى مالك إلا وأنا عالم بقوله. يريد أنه تعلم من عبد الرحيم وسعد وطليب، وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك"[4]، فهم قد تعلموا المذهب المالكي قبل الالقاء بمالك، ثم لما طلبوا العلو سافروا إلى مالك في المدينة للأخذ من علمه مباشرة وهذا يسمى طلب العلو مثل الحديث فالبخاري رغم أنه تعلم على يدي شيخه أحمد ابن حنبل إلا أنه لم يرو عنه بل اتصل بمن أخذ عنهم أحمد بن حنبل وكتب الحديث ونقله عنهم طلبا للعلو.

جاء في كتاب "المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها :"فلما عادوا إلى مصر عادوا بمذهب مالك أصولا وفروعا وأخذوا ينشرونه بين الناس عبر حلقات التدريس والتصنيف، ثم أخذ لواء

---

[1] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص67.

2 محمد المختار المامي، المرجع نفسه، ص67.

3 محمد المختار المامي، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

4 القاضي عياض، المرجع السابق، ج3، ص56.

هذه المدرسة من بعدهم أصبغ بن الفرج، والحارث بن مسكين، وغيرهما، ومن بعدهم محمد محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن المواز وغيرهما. ورغم ما أصاب أبناء هذه المدرسة من هزات العنيفة، وخاصة بسبب فتنة خلق القرآن، إلا أنها ظلت تقوم بدورها في نشاط المذهبي، والحضور العلمي، إلى أن أصاباها وباء الحكم العبيدي بمصر أواخر القرن السادس، فخبت أضواؤها نحو قرنين من الزمن ثم استعادت مكانتها، وذاع صيتها إلى الآن"[1]. هنا يبين لنا أن انتشار المذهب المالكي في مصر بعد عودة العلماء من المدينة حيث قاموا بنشره عبر التصنيف والتعليم، وقد واصل العلماء مثل أصبغ بن الفرج والحارث بن مسكين وغيرهم من بعدهم نشر هذا المذهب، رغم الصعوبات التي واجهتها المدرسة المالكية، خاصة خلال فتنة خلق القرآن استمرت في أداء دورها العلمي والمذهبي حتى تراجعت تحت حكم العبيديين في أواخر القرن السادس، وبعد حوالي قرنين استعادت المدرسة المالكية مكانتها إلى الوقت الحالي. وكذلك جاء في كتاب "المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها "وتتميز هذه المدرسة باعتماد السنة الأثرية مع السنة النبوية، والاخذ بالحديث النبوي الذي يؤده عمل أهل المدينة، وهو منهج الذي ساد المذهب المالكي، وتبنته أكثر مدارسه"[2].

ثانيا: أشهر أعلامها

1-عثمان بن عبد الحكم الجذامي من بني نصر

جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني قوله في تعريف عثمان بن الحكم "هو عثمان بن الحكم الجذامي المصري من بني نضرة روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري وموسى بن عقبة وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ويونس بن يزيد الأيلي وعبيد الله بن عمر بن جريج وغيرهم وعنه أبو زرارة الليث بن عاصم القتباني وابنه أبو زرعة عبد الأحد بن الليث بن عاصم وحبيش بن سعيد بن عبد العزيز الخولاني وابن وهب وإسحاق بن الفرات وسعيد بن أبي مريم"[3]، هذا يبين لنا اسمه موضحا أن نسبته التي ينتمي إليها وروي عن كثير من العلماء وروى عنه كثير من العلماء منهم أبو زرارة الليث بن عاثم.

ونقل ابن حجر العسقلاني عن كثير من العلماء أقوالهم عن عثمان بن الحكم فهذا قول أبو خاتم " قال أبو حاتم شيخ ليس بالمتين وقال بن وهب أول من قدم مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد وقال بن يونس يقال توفي سنة ثلاث وستين ومائة وكان فقيها وعرض عليه القضاء بمصر فلم يقبله وهجر الليث لأنه كان أشار بولايته وكان متدينا وكان ينزل خولان في بني عبد الله قلت ووثقه

[1] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء المرجع السابق ص 88

[2] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء المرجع نفسه ص 88

[3] ابن حجر العسقلاني المرجع السابق، ج 7، ص 111.

أحمد بن صالح المصري".[1] ابن حجر يعرض لنا أقوال العلماء على عثمان بن عبد الحكم حيث يوضح أن أبا حاتم قال إن عثمان بن عبد الحكم شيخ ولكن ليس قويا في الحديث، وأن ابن وهب ذكر أول من جلب مسائل مالك إلى مصر كان عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد ، وأضاف ابن يونس بتاريخ وفاته، وأنه كان فقيها، وعرض عليه منصب القضاء في مصر لكنه رفضه، وقاطع الليث لأنه رشحه للمنصب، وكدلك كان معروفا بتدينه وسكن في خولان في بني عبد الله ووثقه أحمد بن صالح المصري.

2- عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى الجمحيين

جاء في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه عبدالرحيم بن خالد:"هو عبد الرحيم بن خالد بن يزيد قال أبو عمر الكندي مولى أبي الضبيع، مولى عمر بن وهب الجمحي اسكندراني يكنى أبا يحيى"[2]، هنا يوضح لنا اسمه ونسبه وهو معروف بكنيته أبو يحيى ، و قال صاحب طبقات الفقهاء الشيرازي:"كان من أقران أبي حازم ومن نظرائه، وبه تفقه ابن القاسم قبل أن يرحل إلى مالك. وكان قد جمع بين العلم والزهد"[3]، هنا يبين لنا أنه من إخوان أبي حازم وتفقه عنده ابن قاسم قبل سفره إلى مالك وكان من أهل العلم والزهد في اسكندرية. وكما ذكر القاضي أنه:"روى عن مالك الموطأ، وقد روى عنه الليث وابن وهب، وروى ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب. قال ابن بكير: بلغني أن مالكاً كان يعجب به، وكان فقيهاً. قال ابن القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم بن خالد إيمان الكافر ورجوعه إلى الإسلام، مع ما ذكر الله في كتابه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 38]. وذنوب أهل الإسلام. فقال: إني لأرجو أن يكون أهل الإسلام أفضل حالاً من أهل الكفر. ولقد بلغني أن توبة المسلم كالإسلام بعد الإسلام"[4]، هنا يبين لنا أن عبد الرحيم روى الموطأ عن مالك، كما روى الحديث عنه الليث وابن وهب، ويذكر أن مالكا كان يعجب به، وكان عبدالرحيم فقيها، وكما بين لنا ابن قاسم أن عبدالرحيم ناقش مسائل الإيمان والكفر وكان يرى أن توبة المسلم لها وزن كبير، تعادل الإسلام بعد الكفر، مستشهدا بالآية القرآنية.

3- طليب بن كامل اللخمي

جاء في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية لقاسم علي سعد قوله في تعريف طليب بن كامل"هو عبد الله بن كامل أبو خالد اللّخمي، الأندلسي الأصل ثم المصري الإسكندراني صحب مالك بن أنس، وعد من كبار أصحابه، روى عنه ابن القاسم، وابن وهب. وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته إلى مالك مع سعد وعبد

---

[1] ابن حجر العسقلاني المرجع نفسه، ج 7، ص 111.

[2] القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص54

[3] الشيرازي، المرجع السابق، ص149

[4] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3، ص54.

الرحيم. قال ابن حارث: وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك، توفي بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومئة في حياة مالك" [1] ، يبين لنا قاسم علي سعد نسب طليب بن كامل، وكنيته أبو خالد اللخمي، مشيرا الى أصله الأندلسي ثم استقراره في الإسكندرية، بمصر كما يوضح مكانته العلمية من خلال صحبته للإمام مالك، واعتباره من كبار أصحابه إضافة الى دوره التعليمي إذ روي عنه كل من ابن القاسم وابن وهب، وتفقه ابن القاسم على يده قبل رحلته الى مالك، ويؤكد ابن حارث ثقة مالك به ورفاقه وذكر تاريخ وفاته.

الفرع الثالث المدرسة العر اقية

اولاً: نشأة المدرسة

جاء في كتاب المذهب المالكي مدارسه ومؤالفته وخصائصه وسماته لمحمد المختار في نشأة المدرسة العراقية:"لقد انتشر المذهب المالكي في العراق، وازدهر خصوصا في البصرة وبغداد، بواسطة أصحاب مالك رحمه الله كعبد الرحمن بن مهدي من أصحاب مالك رحمهم الله، وعبد الله، مسلمة القعنبي، ثم بأتباعهما كابن المعدل، ويعقوب بن أبي شيبة. وغيرهما، ثم بأتباعهم، من أسرة آل حماد بن زيد؛ كالقاضي إسماعيل بن إسحاق (ت:282 ه)، وابن عمه أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، ومن غير آل حماد، كالقاضي أبي الفرج البغدادي وغيرهم"[2]، هنا يوضح محمد المختار انتشار المذهب المالكي في العراق، خصوصا في مدينتي البصرة وبغداد بفضل تلاميذ الإمام مالك كما ذكر بعض العلماء البارزين الذين ساهموا في نشر المذهب وتعزيزه.

كما يشير إلى ضعف المذهب المالكي في العراق بعد وفاة كبار العلماء حيث قال "ثم بالأبهري، وكبار أتباعه كالباقلاني، وابن الجلاب، وابن القصار والقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي. الذين ضعف المذهب المالكي في العراق بموتهم، بل يمكن أن يقال إن موتهم كان نهاية لهذه المدرسة"[3].

جاء في كتاب "المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها عند الحديث عن مدرسة العراقية: "نظرا لتأثر هذه المدرسة بالبيئة الفقهية في العراق، التي كان منهج أهل الرأي هو السائد فيها تميزت طريقة العراقيين-كما يطلق عليها المالكية المتأخرون- بميلها الى الاستدلال الأصولي، والتحليل المنطقي للصور الفقهية فضلا عن اهتمامها بالتقعيد الفقهي وبالتخريج وجمع النظائر"[4]، هنا يوضح لنا

---

[1] قاسم علي سعد المرجع السابق، ج 2، ص 588.

[2] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص 80.

3 محمد المختار المامي، المرجع نفسه، ص 80.

4 وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء المرجع السابق، ص 90.

أن المدرسة العراقية كانت متأثرا بالبيئة الفقهية العراقية التي غلب عليها منهج أهل الرأي، مما جعل طريقة العراقيين في الفقه تميل إلى الاستدلال الأصولي والتحليل المنطقي.

ثانياً: أشهر أعلامها

1 عبد الله بن مسلمة

ورد في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه لعبد الله بن مسلمة:"هو عبد الله بن مسلمة ابن قعنب التميمي الحارثي، القعنبي أبو عبد الرحمن، أصله مدني وسكن البصرة، فهو من عداد البصريين.

روى عن مالك وابن أبي ذئب وابنه، ومخرمة بن بكير وشعبة والليث والدراوردي والعمري والحمادين وسليمان ابن بلال. روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان، وعلي بن عبد العزيز والذهلي وأحمد بن سنان، ومحمد بن سهل بن عسكر، والرمادي، وأبو داود السجستاني، وأخرج عنه البخاري ومسلم.

حكى أبو علي الغساني الحافظ عنه أنه قال: لزمت مالكاً عشرين سنة حتى قرأت عليه الموطأ"[1]

2- عبد الرحمان بن مهدي بن حسان العنبري

جاء في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه لعبد الرحمن بن مهدي: "هو عبد الرحمان بن مهدي يكنى أبا سعيد، مولى الأزد بصري، روى عنه ابن وهب وابن حنبل ويحيى وزهير وابن المديني، وغيرهم. وخرج عنه البخاري ومسلم،

ولازم مالكاً فأخذ عنه كثير الفقه والحديث وعلم الرجال، وله معه حكايات.

قال ابن المديني: كان ابن مهدي يذهب إلى قول سفيان بن يسار، وكان سليمان يذهب إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

قال أحمد بن عبد الله بن صالح: رسالة الشافعي ابن مهدي ابتدأها، وأتمها الشافعي. وذكر أبو إسحاق الشيرازي: إن الشافعي إنما كتب الرسالة إلى ابن مهدي، وهو الأشبه عندي.

وكان يجالس الشافعي ويصحبه مع أحمد بن حنبل، فكان الشافعي يقول لهما: ما صح عندكما من الحديث فاعلماني لأتبعه لأنكما أعلم مني بالحديث.

ويقال إن ما أرسله مالك من غير ابن مسعود فعن ابن مهدي أخذه. والله تعالى أعلم..[2]

3- محمد بن عمربن و اقد الو اقدي مولى بني سهم بن أسلم

---

1 القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص198.

2 القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص203.

ورد في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه لمحمد بن عمر: "هو أبو عبد الله مدني: عداده في البغداديين. سكن بغداد وولي القضاء بها للمأمون، بعسكر المهدي والجانب الشرقي، والصلاة بالرصافة. ولي القضاء من قبل الرشيد،

روى عن مالك حديثاً كثيراً، وفقهاً ومسائل، وفي حديثه منقطع كثير وغرائب، وكذلك في مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره،

وكان واسع العلم كثير المعرفة، أديباً نبيلاً عالماً بالحديث والسير والأخبار[1].

الفرع الرابع: المدرسة المغربية

أولاً: نشأة المدرسة

لقد انتشر المذهب المالكي في بلاد عدة ومنها المغرب العربي، وسبب هذا الانتشار هو تلاميذ مالك الذين تأثروا بعلمه وأخلاقه جاء في الدراسة التي أعدتها وحدة بحث في دار الإفتاء بالكويت:"انتشر المذهب المالكي في الشمال الغربي من إفريقيا، كما امتد إلى بلاد الأندلس في الجنوب الغربي من قارة أوربا، وقد حمل المذهب الى تلك الأصقاع البعيدة مجموعة من أنبل تلاميذ الإمام وأنشطهم وأذكاهم خرجوا منها وعادوا إليها وهم يحملون علم شيخهم وفقه، وقد ربا عددهم على الثلاثين. وكان أبرزها هؤلاء أثرًا علي بن زياد، والبهلول بن راشد، وعبد الرحيم بن أشرس، وعبد الله بن غانم، الذين يمثلون حجر الأساس في هيكلة المذهب المالكي بالمغرب العربي"[2] .

يقول محمد المختار:"كما كان أبعد هؤلاء تأثيرًا الإمام علي بن زياد صاحب العبقرية الفذة التي استطاع بها أن يستكشف الإمام مالكا عن أصوله، لتكون أصل تنظيره، ومنطلق تفريعه، إدراكا منه أن الأصول محصورة بينما الفروع كثيرة لا يمكن تحديدها إذ هي وليدة الظروف والأحوال المتقلبة، كما تجلت عبقريته أيضًا في تلميذيه اللذين تخرجا على عينيه وهما الإمامان: أسد بن الفرات والإمام سحنون"[3]، ومنا يبين محمد المختار أهم التلاميذ الذين نشروا المذهب وكانوا دعامته في المغرب وأبرزهم علي بن زياد الذي تتلمذ على يديه ركيزتين أساسيتين للمذهب بعد ذلك وهما أسد بن الفرات وسحنون.

---

[1] القاضي عياض، المرجع انفسه ج 3، ص210.

[2] وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء المرجع السابق ص 90

[3] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص114.

ثم يضيف:"وتعتبر هذه المدرسة نتاجا لمدارس المالكية الثلاث: المدنية، المصرية، والعراقية، حيث جمعت مميزات تلك المدارس، وذلك بتضافر جهود أئمتها"[1]، فهذه المدرسة المتأخرة هي خلاصة المدارس المالكية الأخرى من مدنية وعراقية ومصرية.

وهكذا ف"بدءًا من علي بن زياد الذي كان يتبنى الفقه التنظيري الفرضي، وأسد بن الفرات، الذي أخذ عنه تلك الفكرة، ونماها بدراسته الأكاديمية في مدرسة الرأي بالعراق (الحنفية)، التي أثمرت فرضيات الأسدية"[2]، وهنا نلحظ التأثير العراقي في المدرسة المغربية فالعراق والمدرسة العراقية تأخذ بالرأي، وقد تأثرت المدرسة المغربية بذلك خاصة مع علي بن زياد وأسد بن الفرات.

يضيف محمد المختار المامي:"ومرورا بسحنون الذي ربط فقه الأسدية بالأثر على طريقة أهل المدينة، دون أن يهمل ما عليه العمل من ذلك الأثر على سنن أهل مصر وابن أبي زيد وابن عبد البر اللذين عمقا ذلكم المفهوم بجمعهما ما تناثر في أمهات دواوين فقه مدارس المالكية المختلفة سالكين في ذلك مسلك إمامهم في المدونة وانتهاء بالقرافي وغيره، ممن اعتنى بجمع فكر مدارس فقه المالكية المختلفة والترجيح بين آرائها واختيار ما هو راجح منها ودعا إلى الاستمرار في ذلك المنهج دون تعصب"[3]، وهكذا فسحنون حاول ربط الآراء الفقهية بأدلتها من الأثر، وجاء بعده ابن عبد البر وابن أبي زيد قبله لبيان أن المذهب المالكي يأخذ بالدليل رغم إعماله للرأي، وصولا إلى القرافي الذي عمل على الترجيح في المذهب، فكل هذه الجهود هي التي ميزت المدرسة المغربية عن غيرها.

وهذا يبرز لنا كذلك أن المدرسة المغربية للمالكية كانت مركزا هاما لنشر العلم والفكر في المغرب العربي والأندلس وأعلامها استطاعوا تأسيس قواعد فقهية هامة ودفع عجلة العلم والتفكير دون أي تعصب.

ثانيا: أشهر أعلامها

1ـ عبد الله بن غانم القاضي

ورد في المدارك والمسالك للقاضي عياض قوله في تعريفه لعبد الله بن غانم"هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شراحيل بن ثوبان بن محمد بن شريح بن شراحيل بن الحنف بن ايمن بن ذي النبط بن فوز بن ذي رعين. كنيته أبو عبد الرحمان، كذا نسبه ابن شعبان وابن حارث وأبو العرب"[4]، كما جاء في طبقات

[1] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص114.

[2] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص114.

[3] محمد المختار المامي، المرجع السابق، ص114.

[4] القاضي عياض، المرجع السابق، ج 3، ص65.

علماء إفريقية لإفريقي محمد بن أحمد:"كان ثبتا ثقة نبيلا، ولي القضاء بعد ماتع بن عبد الرحمن، وكان عدلا في قضائه، ولاه روح بن حاتم سنة إحدى وسبعين ومائة، وهو يومئذ ابن اثنتين وأربعين سنة، سمع من مالك، وكان يكتب إلى عثمان بن عيسى بن كنانة، فيسأل له مالكا عن أحكامه"[1]، فقد كانت علاقته بمالك وبمذهبه الفقهي متينة خاصة مع العلم أنه كان قاضيا يحكم في القضاء بماجاء في المذهب المالكي.

وقال محمد بن أحمد:"وسمع من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ومن سفيان الثوري، وإسرائيل بن يونس، ومن غيرهم، قال أبو العرب: لقد حدثني محمد بن حفص، أن أبا عثمان حاتم بن عثمان المعافري، كان صديقا لابن غانم"[2]، وهذا يبين لنا أنه من رواة الحديث الثقات الأثبات.

2-علي بن زياد التونسي العبسي

قال القاضي عياض:"أبو الحسن. وقيل أصله من العجم ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس فسكنها. وقال ابن شعبان وغيره هو من عبس. قال أبو العرب علي بن زياد من أهل تونس ثقة مأمون (خير) متعبد بارع في الفقه ممن يخشى إله عز وجل مع علوه في الفقه" يتحدث القاضي عياض عن أصله الذي اختلف فيه العلماء ما بين كونه طرابلسيا أو تونسيا، وهو رجل متعبد قوي في الفقه.

كما جاء عن القاضي عياض:"سمع من مالك وسفيان الثوري والليث ابن سعد، وابن لهيعة وغيرهم. وسمع بإفريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران، لم يكن بعصره بإفريقية مثله"[3] فهؤلاء من أخذ عنهم الحديث.

وقال عنه كذلك:"سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة وأسد بن الفرات وغيرهم. وروى عن مالك الموطأ، وكتب سماعه من مالك الثلاثة. قال ابو سعد بن يونس: هو أول من ادخل الموطأ وجامع سفيان المغرب، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه"[4]، فعلي بن زياد كان ملما بأقوال مالك شارحا مبينا لها.

كما قال عنه:"وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو معلم سحنون الفقه. قال الشيرازي به تفقه سحنون وله كتب على مذهبه وتفقه بمالك وله كتاب خير من زنته"[5]، فهو شيخ سحنون بل وأسد بن الفرات كما سبق.

3- عبد الرحيم بن أشرس

---

[1] [1] الإفريقي محمد بن أحمد بن تميم،(ت: 333ه)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ص43.

[2] الإفريقي محمد بن أحمد بن تميم،(ت: 333ه)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان، ص43.

[3] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3، ص 80.

[4] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3، ص 80.

[5] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3، ص 80.

جاء في ترتيب المدارك"قال أبو العرب: هو أنصاري من العرب من أهل تونس كنيته أبو مسعود ونسبه ولم يسمه، وسماه المالكي العباس. وقالوا: هو مولى الأنصار. وقاله أبو سعيد بن يونس. وقال اسمه عبد الرحمان.... انتهى. وكذلك قال ابن فهر، رجح المالكي اسمه العباس"[1]، وهذا مجال لاختلاف الناس في أصل عبد الرحيم بن أشرم أهو عربي أم من الموالي.

وقال القاضي فيه: "وهو ثقة فاضل. سمع من مالك بن أنس ومن ابن القاسم. روى عنه عبد الرحمان حديث الموطأ. قال: وقرأت في رجال ابن وهب، أبو الأشرس عبد الرحمان بن أشرس المقري التونسي. ولعله أخا لأبي مسعود. وكان يكنى بأبي مسعود، وقد بين هذا ابن شعبان، فقال عنه أبو مسعود عبد الرحمان بن أشرس، ويقال عبد الرحيم"[2]، وهذا رأي المحدثين النقاد في عبد الرحيم بن أشرس فهو ثقة سمع من مالك وابن القاسم.

وجاء في ترتيب المدارك"قال سحنون: كان علي بن زياد خير أهل أفريقية في الضبط للعلم، وكان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3]، فابن الأشرس أحفظ للرواية، وكان معروفا عنه الأمر بالعروف والنهي عن المنكر.

[1] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3 ص86.

[2] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3 ص86.

[3] القاضي عياض، المرجع نفسه، ج 3 ص86.

المبحث الثاني: التعريف بالغرب الإفريقي

سنتحدث في هذا المبحث عن الموقع الجغرافي لمنطقة الغرب الأفريقي، وعن تضاريس المنطقة وأهم الأنهار، وسكان المنطقة ولغاتهم، ثم نتحدث عن المراكز الحضارية والثقافية في المنطقة مثل مدينة تمبكتو والعريقة في التاريخ والحضارة والرقي، وكذا مدينة غاو، ومدينة جاني، ومعظم هذه المدن العريقة تقع في مالي الحالية.

المطلب الأول: التعريف بالمنطقة

الفرع الأول: الموقع الجغرافي

يقع الجزء المسمى بإفريقيا الغربية إلى الجنوب من إفريقيا العربية ويحدها شرقا بحيرة تشاد وغربا المحيط الأطلسي جنوبا خليج غينيا[1]، وتقسم إفريقيا الغربية الى جزأين متوازيين رئيسيين، فالجزء الأول يتمثل في الدول الموجودة في غرب السودان وتشمل: بركينا فاسو، الرأس الأخضر، غامبيا، مالي، النيجر، السنغال، موريتانيا، أما الجزء الآخر من المنطقة الساحلية هي ذلك الواقعة على الساحل الغيني فتشمل: بنين، ساحل العاج، غانا، غينيا(بيساو)، ليبيريا، نيجيريا، سيراليون، توغو، غينيا(كوناكري)[2].

وتمثل شعوب هذه الدول نسيجا اجتماعيا، وثقافيا متقاربا ومتداخلا، ولا يفرق بينهم في الواقع إلا العوائق التي تمخض عنها الاستعمار الأوربي، حيث تعرضت هذه الدول لاستعمار دول أوربية مختلفة فانعكست ثقافة تلك الدول ولغاتها على الشعوب التي استعمرتها في المنطقة وأصبحت تمثل اليوم نوعا من الإشكال أمام التبادل الاجتماعي والثقافي السلس. وقد عرفت هذه المنطقة في القديم باسم السودان الغربي مع شيء من الاختلاف في الحدود بين الإطلاقين، حيث إن نطاق الغابات لم يكن داخلا في إطار ما كان يعرف السودان الغربي بينما هو جزء لا يتجزأ اليوم من منطقة غرب إفريقيا".[3]

الفرع الثاني: التضاريس

---

[1] نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، سلسلة الثقافة الشعبية، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن، ص 141.

[2] مجمد فاضل وسعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وخضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1971م، ص 21.

[3] نوح عيس سيدبي، تاريخ الإفريقية الغربية والوسطى، ألقيت على طلبة السنة الأولى الشريعة والقانون، سنة 2020م، الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية الشريعة والقانون قسم الفقه وأصوله، ص 7.

منطقة السودان الغربي التي نحن بصدد الحديث عنها تتخللها هضاب وجبال منها سلسلة الجبال عبر طريق سيقو جاو، وحجار وأهير (ابراسين) وجبال أورار الشرقية والغربية و ترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ستة آلاف قدم فوق سطح البحر، وتنخفض أخرى إلى مائة قدم تحت سطح البحر، تنتشر فيها كثبان الرمال، والواحات الكبيرة، كما توجد بها الهضاب الصخرية والمسالك الفسيحة وسلاسل الجبال المتقطعة وكذالك الوديان وتقدر مساحة جزء الصحراء التي تسيطر عليها الرمال حوالي التسع وقد أفاد الإدريسي بأن الأمطار قليلة من الصحراء نيسر والتي يدخل عليها المسافرون إلى مدينة أودغست وغانا وهي صحراء قليلة البشر، والماء بها قليل، وشمسها قاتلة.[1]

تتشكل إفريقيا الغربية من هضبة عملت العوامل الطبيعية في تغيير قشرتها الخارجية، ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة وتمتد تضاريسها من التشاد إلى الأطلسي وتنقسم من الشمال إلى الجنوب إلى أقسام

1 – المنطقة الشمالية: تقع بين الصحراء الكبرى شمالا إلى وادي النيجر الأوسط جنوبا وهذه المنطقة الصحراوية في أغلب مساحتها تتخللها بعض الهضاب والوديان والواحات والعيون.

2 – المنطقة الوسطى: تمتد من بحيرة تشاد شرقا حتى منطقة فوتا تور السنغالية غربا وترتفع في وسطها هضاب النيجر وفي هذه المنطقة سهوب واسعة ذات مراع خصبة.

3- **المنطقة الجنوبية:** وهي المنطقة المشرفة على خليج غينيا وتضم عدة كتل جبلية أهمها فوتا جالون. تغطي هذه المنطقة الغابات الاستوائية الكثيفة وتكثر فيها السهول والوديان والأنهار الساحلية.[2]

الفرع الثالث: أهم الأنهار

هناك العديد من الأنهار الهامة في غرب إفريقيا، حيث توفر مصادر للمياه العذبة للشرب والري، وتعزز الزراعة والثروة السمكية ومن بينها:

أولا: نهرالنيجر وهو أهم أنهار هذا الجزء من القارة، سواء من حيث النقل والمواصلات أو من حيث صلاحيته لمختلف المشاريع التنموية والزراعية التي يمكن التفكير في القيام بها اعتمادا على وفرة مياهه وخصوبة الأراضي المستجيرة به، وهو كذلك أطول الأنهار في هذه المنطقة وثالث أطول أنهار القارة الإفريقية بعد النيل والكونغو، حيث يصل طوله إلى 4184 كيلو مترا.[3]

---

[1] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسية والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشرة الى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م، ص 19.

[2] مجمد فاضل وسعيد إبراهيم، المرجع السابق ص 21

[3] نوح عيس سيدبي، المرجع السابق، ص 8.

أما منبعه الأساسي فهو هضبة فوتاجلون قرب سيراليون ومنبعه هناك لا يبعد أكثر من 280 كلم عن المحيط الأطلسي وجه سيره في المرحلة الأولى الشمال الشرق قاطعا غينيا ومالي حتى تخوم الصحراء الإفريقية ثم يتجه صعودا حتى تمبكتو في مالي، حيث يدعوه السكن الأصليون هناك " دجوليبا "أي نهر الكبير ويروي نهر النيجر مساحة 1.500.000 كم والصيد فيه يحتل مرتبة على غاية من الأهمية في الاقتصاد، مالي التي كانت إحدى البلدان الإفريقية القليلة التي صورت الصيد النهري ليكون عاملا أساسيا في ميزانها.[1]

ويعد أصلح أنهار إفريقيا للملاحة وله أهمية سياسية اقتصادية لاشتمال حوضه على غلات عظيمة القيمة هذا فضلا عن أنه طريق مائي عظيم للمواصلات والتجار.[2]

ثانيا: نهر فولتا volta

وهو عبارة عن ثلاثة أذرع متوازية من المجاري المائية المتفاوتة الأهمية تنبع كلها من أراضي بوركينا فاسو، ثم تلتقي بعد تموجات كثيرة في أراضي جمهورية غانا وبفضلها استطاعت غانا تنفيذ مشروع أكبر بحيرة صناعية في العالم هي بحيرة فولتا في الجنوب الشرقي من البلاد عن طريق إنشاء سد أكوسومبو Akossombo وقد حملت هذه الأذرع المائية الثلاثة في بوركينا فاسو اسم فولتا الأسود وهو الأهم، وفولتا الأبيض وفولتا الأحمر، ثم حولت هذه الأسماء في عام1984 م إلى موهون للأول، وناكامبي للثاني، ونازينو للثالث. ويقدر طول نهر فولتا بما لا يقل عن 1600 كيلو متر من المنبع الأقصى لذراعه الأهم غرب مدينة بوبو جولاسو إلى مصبه في خليج غينيا عند الشواطئ الجنوبية لدولة غانا[3].

ثالثاً: نهر الكونغو

يعتبر الكونغو ثاني أنهار إفريقيا طولا بعد النيل ولكن كمية المياه التي تسقط على حوضه أكثر منها في النيل و لا يفوق الكونغو في ذلك إلا نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية وينبع الكونغو من بحيرات بتجويلو وموبرو وتنجانيقا بواسطة نهري لوابولا ولوكوجا.[4]

رابعاً: نهر السنغال

---

[1] سمية تونسي، الحواضر العلمية في السودان الغربي ما بين القرنين (07-10هـ 13-16م) (غاو) نموذجا، (مذكرة ماجستير) تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية-أدرار 2019-2020م.

[2] المرجع نفسه

[3] نوح عيس سيدبي، المرجع السابق، ص 9.

[4] محمد محي الدين بنق، افريقيا وحوض النيل، مطبعة عطايا بباب الخلق بمصر، ط2، 1934م، ص8.

يبلغ طوله حوالي 1600كلم وينبع من وسط غينيا (كوناكري) ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السنغالية القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة وهو مصدر الخصب للأرضي التي يمر بها.[1]

الفرع الرابع: المناخ

المناخ في افريقية الغربية شبه استوائي يتميز بارتفاع الحرارة وزيادة كبيرة في الرطوبة. تكثر الأمطار في إفريقية الغربية على العموم، غير أنها تقل كلما اتجهت نحو الشمال في الداخل، وتبقى المناطق الساحلية غزيرة الأمطار وتصل إلى درجة تصعب معها رؤية الأشياء[2]. أما عن الرياح فنظرا لطبيعة المناخ الصحراوي الجاف فهي غير مستقرة فقد تصل سرعتها إلى درجة كبيرة، مما ينتج عنها تفتت الصخور وتعري سطح الأرض وعرقلة مجرى الحياة اليومية، وهو ما ذكره ابن سعيد المغربي، عندما قال: "لا ماء ولا مرعى ولا عمارة، بل رمال سائلة، وطرق مظللة طامسة وأكثر ما يكون فيه اللمط صابر على العطش وهو على شبه الغزال لكنه أغلظ منه. وأول ما يلقاك من هذا الجزء صحراء سير التي يقطعها المسافرون ما بين سجلماسة وغانة وهي طويلة عريضة يكابدون شدة العطش ووهج الحر وربما هبت رياح جنوبية ونشفت المياه التي بالقرب[3]

الفرع الخامس: السكان

الجنس الزنجي ذو الأصول السوداء بقبائله وعشائره وأفخاذه المتعددة هو العنصر المسيطر في منطقة السودان الغربي بلا نزاع، سواء من حيث الكثرة العددية أو من حيث الأسبقية التاريخية والإسهام الخضاري، وإذا استبعدنا فرضية كون أصلهم منها، فإن المؤكد أنهم وصلوا إليها منذ قرون سحيقة من الزمن قادمين من واد النيل، الذي يرجح البعض كون أصلهم منه. وإلى جانب هذا الجنس الأسود الغالب توجد عناصر بشرية أخرى تنتمي في أصلها إلى الجنس الأبيض، وصلت إلى المنطقة في فترات مختلفة، مثل العرب والبربر والطوارق والفولانيين، فساكنت الجنس الأسود وتجاورت معه وقاسمته الأرض والنفوذ والسيطرة والإسهام الحضاري، وهذا الخليط المتجانس من العناصر البشرية المختلفة هو الذي يكون اليوم الأمة الإفريقية الواحدة بلغاتها وعاداتها وتقاليدها المتنوعة في هذا الجزء من القارة.[4]

---

[1] محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص23.

[2] محمد فاضل علي باري، المرجع نفسه، ص23

[3] ابن سعيد المغربي أبي الحسن، كتاب الجغرافيا، ديوان المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 1970م، ص 113.

[4] نوح عيس سيدبي، المرجع السابق، ص 11.

الفرع السادس: اللغات

"يوجد في افريقيا الغربية أكثر من 150 لغة ومع ذلك فإن لغة المستعمر مازالت طاغية في كثير من المجتمعات إفريقيا الغربية التي استعمرتها إلا إن أكثر اللغات شيوعا في هذه المنطقة هي لغة الهوسا التي تتكلم بها حوالي 25 مليون في نيجيريا والباقي موزعون في النيجر وبعض مناطق الكاميرون وغانا.

وتعتبر العربية اللغة الرسمية في موريتانيا وهي الدولة العربية الوحيدة في غرب إفريقيا، كما تسود اللغة العربية الأوساط الدينية الإسلامية في باقي الدول إفريقيا الغربية وخاصة في السنغال ومالي والنيجر"[1].

المطلب الثاني: أهم مراكز الحضارة والثقافة في المنطقة

تعتبر غرب إفريقيا ذات تاريخ عريق وثقافة متنوعة وقد لعبت دورا كبيرا في تطور الحضارات والثقافات المختلفة عبر العصور، من بين العديد من المدن التاريخية في هذه المنطقة، تبرز ثلاثة مدن بشكل خاص لما قدمته من إسهامات في الحضارة الاسلامية وهي كالتالي: مدينة تمبكتو في مالي، مدينة جني في مالي، مدينة غاو في مالي الحالية كذلك.

الفرع الأول: مدينة تمبكتو

تعتبر مدينة تمبكتو واحدة من مراكز الثقافة الهامة في غرب إفريقيا حيث كانت مركزا للتجارة والعلم، ذكرها عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان أنها نشأت على أيدي توارق "مقشرن"، في أواخر القرن الخامس هجري، ويصفها قائلا: هذه البلدة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وبركة، ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد أديمها قط لغير الرحمن وهي مأوى العلماء و العابدين، ومألف الأولياء والزاهدين.[2]

وقال ابن الوزان في كتابه وصف افريقيا هو اسم مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان عام 610 للهجرة، على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر. ودور تنبكتو عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن. وفي وسط المدينة مسجد مبني بالحجر المركب بالطين والجير علي يد مهندس أندلسي من مدينة المانا، وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع الملك إليهم جميعا مرتبا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر.[3]

---

[1] محمد فاضل علي باري، المرجع السابق، ص 27.

[2] السعدي عبد الرحمن بن عبد الله، تاريخ السودان، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن، ص20.

[3] الإفريقي للحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1983م، ص 167.

في حين يذكر السعدي أن قوما من الطوارق مقشرن إحدى القبائل الملثمين هي التي اختطت هذه المدينة، وكانوا بدوا يرعون الأغنام فكانوا يصيفون على ضفاف النيجر في موقع هذه المدينة ثم يرحلون في الخريف إلى ديارهم، وبعدها استقر بهم المقام بسبب استقرار المرابطين، فأنشئت هذه المدينة التي أضحت سوقا هاما يؤمها التجار كذلك هي مركزا للحياة الفكرية والثقافة، يجتمع فيها العلماء من جميع الأجناس، ولقد وفد إليها علماء وفقهاء من بلاد المغرب والأندلس، ومصر، والحجاز، وكافة بلاد السودان.[1] حيث تميزت هذه المدينة بوجود مسجدان كبيران بمدينة وهما الجامع الذي بناه منسا موسى في القرن الرابع عشرة، وجامع سانكورى الذي أصبح فيما بعد أول جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء. وكان الجامع المركزي الذي تقام فيه صلاة الجمعة يقع في الجزء الغربي من المدينة.[2] يقال أن مساجد تمبكتو كانت تحاول أن تحتذي بالأزهر في أساليبها التعليمية، [3] حيث كانت الدروس في المساجد تقدم و تستمر طيلة النهار ولا تنقطع إلا وقت الصلاة. وكان بعض الأساتذة يدرسون في الليل على نور الخطب المشعل الذي يتبرع به الطلاب.[4] و كذلك في تمبكتو خرجت العديد من العلماء الذين أثروا الفكر الإسلامي، بمؤلفاتهم التي تزخر بها المكتبات العالمية مثل أحمد بابا التنبكتي المعروف بعالم التكرور، وصاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" وكتاب "معراج الصعود، الذي يتضمن أجوبته بخصوص الاسترقاق والعديد من المخطوطات الأخرى، ومثل الحاج محمد بن عثمان بن فودي، ولا تزال تزخر بالعلماء إلى اليوم.[5]

وهذا كله يدل على أن تمبكتو كانت تعتبر مركزا لتداول العلماء والتجار، ولها أهمية كبيرة في نشر العلم والمعرفة والتبادل الثقافي بين الصحراء الكبرى والمناطق الواقعة جنوب الصحراء وقد أسهمت المساجد في تمبكتو في تعزيز هذا الدور، مما جعلها مركزا هاما للتعليم.

الفرع الثاني: مدينة جني

تقع مدينة جني التي توجد الآن في جمهورية مالي على خط عرض 35 و13 شمالا وبين خط طول 9 شرقي غرينتش وقد كانت في بدايتها بلدة صغيرة ظهرت في قلب دلتا نهر النيجر على أنقاض إحدى مدن

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430.515هـ- 1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م-1408هـ، ص 163.

[2] عثمان برايما باري جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2000م، ص 24.

[3] شوقي عطا الله الجمل، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا، المصر النهضة، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن، ص 98.

[4] نعيم قداح، المرجع السابق، ص 142.

[5] حسن علي إبراهيم، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي مند القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، (رسالة الدكتورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب قسم التاريخ والخضارة الإسلامية، -2008م ص 298.

مملكة غانة ويقال أن اسم غينيا اشتق من كلمة جني وهي أقدم مدن غرب إفريقيا[1] فلقد أسست هذه المدينة على نهر النيجر الأعلى في منتصف القرن 2هـ 6م وأسلم أميرها في نهاية القرن 5هـ /11م في عهد مرابطين وحذت الرعية حذوه ، وتم إسلامها في نهاية القرن 6هـ ، إذ يذكر السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان : أنه عندما زعم هذا الأمير علي اعتناق الإسلام جمع كل العلماء في مملكته ، وكان عددهم 4200 عالم ، سلم علي أيدهم ، وطلب منهم أن يدعو الله أن ينصر مدينته ثم هدم قصره ، وبنا مكانه مسجدا عظيما مبالغة في حبه للدين الإسلامي[2] ولقد عرفت هذه المدينة توافد الطلاب والعلماء والفقهاء ، وفي هذا الصدد يقول السعدي : "وقد ساق الله تعالي لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء الصالحين من غير أهله من قبائل شتي وبلاد شتي وكان الطلبة ، يسرعون إلى العلماء والفقهاء الاقتباس علمهم وتتلمذ على أيدهم و كانت حلقات الدراسية والمناقشات العلمية تبدأ من منتصف الليل إلى صلاة الصبح، وبعد الصلاة يجلسون حول العلماء الى الزوال.[3] وهذا يوضح لنا أن جني تحظى بمكانة مهمة في الحضارة والثقافة.

الفرع الثالث: مدينة غاو

هي من المدن الكبرى في بلاد السودان الغربي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث يتصل به وادي تلمسي الذي ينحدر إليها من قلب الصحراء، تقع حالياً من الشمال الشرقي من العاصمة باماكو عاصمة مالي حاليا، وتبعد عن تنبكتو بحوالي أربعة مئة ميل إلى الجنوب الشرقي، وقد عرفت في المصادر العربية بعدة أسماء هي كوكو، كاغ كاغو، كما اختلفت المصادر في نشأتها فهناك من يرجعها إلى القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي وظلت في التوسع والازدهار منذ أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وذلك النشاط حركة التجارة ووقوعها في نهاية الخط الرابط بين بلاد السودان الغربي ومدن الصحراء، وبهذا تعزز موقعها أكثر فأكثر فأصبحت مقصد للتجار من بلدان المغرب الإسلامي، فكثرت بها الأسواق وافتتحت بها المحلات التجارية، وغدت أسواقاً كبيرة لتجارة الذهب والعبيد ومنطقة تجمع البضائع المحلية، وبنيت بها المساجد وقصور الحكام والتجار وكثرت المباني العامة، فأصبحت قبلة الكثير من العلماء من مصر وبلاد المغرب ومدن الصحراء.

كانت تعقد بها مجالس للعلم يحضرها الحكام. وعرفت بمكتبتها الكثيرة ومنها مكتبة الأسكيا الحاج محمد ومكتبة الأسكيا داود. كما زارها شيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة 1498 وبقي بها مدة يمارس بها

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، دار الكتب الوطنية-بنغازي، ط1، 1998م، ص 288.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 162

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص 163.

التأليف والتدريس، وظلت على قدر من الأهمية العلمية الى غاية الحملة المغربية في نهاية القرن السادس عشر.[1]

ختاما، فقد تناولنا في هذا الفصل تعريف المذهب المالكي حيث استعرضنا تعريف مؤسس المذهب الإمام مالك، ومدارس المذهب المختلفة المدنية والمصرية والعراقية ثم المغربية، مشيرين الى أبرز أعلام هذه المدارس مثل عثمان بن كنانة وعثمان ابن الحكم الجذامي، عبد الرحمن بن مهدي وعلي بن زياد وغيرهم، ثم انتقلنا للبحث في منطقة غرب إفريقيا، متطرقين الى أهم المراكز الحضارية والثقافية مثل تمبكتو، جني وغاو ومعظمها تقع في جمهورية مالي الحالية.

[1] أخريزي عبد القادر، التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا من القرن الثامن الهجري حتى الى غاية القرن عشرة، مذكرة الماستر، جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2021-2022م ص 23

الفصل الثاني:

تاريخ انتشار المذهب المالكي في الغرب الإفريقي وعلماؤه

المبحث الأول: انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

المطلب الأول: عوامل انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

المطلب الثاني: المذهب المالكي في ممالك غرب إفريقيا

المبحث الثاني: بعض علماء المذهب في الغرب الإفريقي

المطلب الأول: أحمد باب التنبكتي والشيخ محمد المختار الكنتي

المطلب الثاني: الشيخ عثمان بن فوديو وعبد الله بن فوديو

الفصل الثاني: تاريخ انتشار المذهب المالكي في الغرب الإفريقي وعلماؤه

المبحث الأول: انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

المطلب الأول: عوامل انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقية يعود إلى عدة عوامل تاريخية وثقافية ودينية جعلت منه المذهب السائد في هذه المنطقة ومن أبرز هذه العوامل تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب من الناحية العقدية والفكرية، وملاءمة المذهب لعقليات وتقاليد هذه المجتمعات، كما كان للسلطة السياسية دورا مهما في انتشار المذهب، كما أن للمغرب العربي الدور البارز في هذا الانتشار بالإضافة ذيوع حديث الإمام مالك المعروف بالموطأ، ومن أهم العوامل كذلك دور الطرق الصوفية والرحلات العلمية، وأهم من ذلك رحلات الحج إلى بيت الله الحرام.

الفرع الأول: تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية

كان لأصحاب المذاهب الإسلامية من السنة والخوارج الصفرية والإباضية دور وإسهام كبير وواضح في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي، خلال القرن 2هـ/8م، ففي هذه الفترة نشطت التجارة التي أسهمت بدورها في نشر الإسلام وكذلك نشر بعض آرائهم الدينية، وقد سموا بالصفرية لصفرة في وجوههم من أثر العبادة، أو لانتسابهم إلى أحد أعيان الخوارج والراجح انتسابهم إلى عبد الله بن صفار التميمي الذي كان مع رئيس الخوارج ابن الأزرق، وقد ظهروا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 76هـ، ثم انتشرت هذه الفرقة في العالم الإسلامي وشكلت دولة عاصمتها سجلماسة في جنوب دولة المغرب حاليا[1].

وقد ساعد على ذلك حيوية التجار، ودور السلطة السياسية في الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي وتوفير الأمن على طول الطرق التجارية، واستمر نشاط تجار هذه الفرق الداعي للإسلام خلال القرن 3هـ / 9م، ومع نهاية هذا القرن انتهى دور الخوارج الصفرية في السودان الغربي بسقوط دولتهم في سجلماسة سنة 297هـ/909م، ودولتهم كانت تدعى دولة بني مدرار، ولقد حاول الصفرية انشاء دولتهم في

[1] الصفرية: التعريف والنشأة-الاعتقادات-انتشارها بالغرب الإسلامي، موقع الرابطة المحمدية للعلماء، الصفرية- التعريف- والنشأة والاعتقادات /arrabita/bog يوم:2024/5/7.

المغرب خلال الخلافة الأموية ولكن شاءت الأقدار أن تقضي عليهم الخلافة الأموية فيعهد هشام بن عبد الملك المتوفى سنة 125هـ، ليعيدوا الكرة خلال الخلافة العباسية حيث أقاموا دولتهم في بداية الأمر في سجلماسة سنة 140 للهجرة[1]، ومدينة سجلماسة مدينة اندثرت إثر الحروب ولم يبق منها إلا القليل من الآثار في مقابل مدينة الريصاني في تافيلالت المغربية الحالية جنوب الأطلس الكبير.

وبدأ كذلك دور الاباضية في الضعف بعد سقوط دولتهم في تيهرت سنة 296هـ/ 908م، وكان هذا بسبب قيام الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب[2]، فقد سعت تلك الدولة جاهدة من أجل بسط وسيطرة نفوذها على العالم الإسلامي بشكل عام، فكانت توجد رغبة لدى خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى، وهذا من خلال الحصول على كميات كبيرة من الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملتهم، لكن فشلت الدولة الفاطمية في بسط نفوذها، كما فشلت في نشر مذهبها في بلاد المغرب وبالتالي في بلاد السودان الغربي[3].

وشهد القرن 5هـ/11م استمرار لنشاط تجار السنة المالكية في بلاد السودان الغربي مع الغياب التام لتجار الفرق الإسلامية الأخرى، وفي هذا القرن قام المرابطون بدور دعوى في تلك البلاد ونشروا الإسلام على أساس المذهب المالكي، ولذلك حدث انتصار المذهب المالكي في تلك البلاد إذ أصبح مذهب الحكام والمحكومين[4].

الفرع الثاني: ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة أهل غرب إفريقية الغربي

يقول سحر عنتر: "يتصف المذهب المالكي بالمرونة في التعامل مع العادات والتقاليد المحلية مما جعله ملائما للسكان في هذه المنطقة. ولقد اختار أهل السودان الغربي مذهب الإمام مالك دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى حيث بزغ مذهب مالك مع بدايات انتشار الإسلام بفضل جهود دعاته من المغاربة وأفراد أهله بالمذهب"[5]، فمرونة المذهب المالكي هي التي جعلت الناس في هذه المنطقة يأخذون به.

---

[1] الموقع نفسه.

[2] ينظر:سحر عنتر محمد أحمد مرجان، فقهاء المالكية وأثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2010م، ص 101.

[3] حسين سيد عبد الله مراد، الصلات بين البلاد المغرب والسودان الغربي (ق 2-6هـ\ 8-12م)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر، 19 أفريل 2015، ص 375.

[4] سحر عنتر، المرجع السابق، ص 102.

[5] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع نفسه، ص 103.

ويضيف سحر عنتر قائلا:"كما شكل هذا المذهب عمقا ثقافيا في السودان الغربي مثلما شكل المذهب الحنفي عمقا ثقافيا في الدولة العباسية"[1]، فالمذهب المالكي الذي وافق عادات وتقاليد أهل المنطقة جعلهم يلتزمون به ويصبح عمقا وتراثا حضاريا لهم.

ويزيد سحر عنتر في تحليله لأخذ أهل المنطقة بالمذهب المالكي وعدم أخذهم بمذاهب أخرى لأنه يعتمد النص القرآني وما جاء من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فسهولة المذهب وبساطته وافقت مزاج الناس في هذه البلاد قال:"ويعد هذا المذهب الأقرب لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي، وذلك لسهولة المذهب ووضوحه فهو يعتمد على القرآن الكريم ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل ويوثق الحديث بالقرآن، ويأخذ من السنة بالمتواتر منها وبخبر الآحاد مثلما يأخذ مالك بعمل أهل المدينة"[2]

فوضوح المنهج عند المالكية وجمعهم بين والنص والعقل من جهة خاصة عند اخذهم بالمصالح المرسلة والاستحسان ، هذا الوضوح من العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب:"كما يأخذ بالقياس والمصالح المرسلة والاستحسان ويأخذ بفقه سد الذرائع وقد قابل هذا المنهج ميلاً وهوى لدى أهل السودان الغربي لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد"[3].

كما أن أهل السودان الغربي قد تميزوا بحساسية مفرطة تحاد مسألة السنة، وبسعيهم إلى تتبع آثارها وإلى مقاومة أعدائها من أهل البدع وأهل الأهواء يمكن أن تجد تفسيرا لتفضيلهم لمذهب الإمام مالك، كما أن هناك خاصية أخرى في المذهب المالكي ربما جعلت أهل السودان الغربي يفضلونه، خاصة فيما يتعلق بأصوله فهو يتميز بكثرة الأصول، وأن هذه الأصول بين أيدي المفتي تسمح له باختيار أصلحها وأقربها للعدل، وأكثرها توافقا مع الواقع الإفريقي،

فالمذهب المالكي يعرف بكثرة مراعاته للعرف، ولهذا أقبل ملوك وأهالي تلك البلاد على هذا المذهب والتزموا بفقهه في كافة العبادات والمعاملات[4]

الفرع الثالث: دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي

[1] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع نفسه، ص 103.

[2] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع نفسه، ص 103.

[3] أحمد جعفري، المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب، مجلة آفاق علمية، جامعة غراديه، ع 12، 2020م، ص 215.

[4] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5ه/11م تونس تبر الزمان، د. ط، 2004م، ص 64

يقول سحر عنتر:"ساعدت الظروف المجتمعة على جعل مذهب الإمام مالك أمرا مقبولا من الجهة السياسية لدى الحكام، ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أدت إلى توطين المذهب المالكي في منطقة السودان الغربي"،

"وبهذا أصبح المذهب المالكي بفضل جهود هؤلاء الحكام أحد المقومات الأساسية للدول التي قامت في تلك المنطقة، فكان دور السلطة الحاكمة كبيرا في جمع أهالي السودان الغربي على مذهب واحد هو المذهب المالكي لهذا عملوا على نشره وأوجدوا له الحماية خوفا من الفرق الأخرى سواء أكانت سياسية أو اعتقادية أو فرقا شعبية ، أو خارجية، فانتصر المذهب المالكي في السودان الغربي بفضل ودعم السلطة الحاكمة لهذا المذهب"،

"حيث أن الفقهاء المالكية تولوا جميع المناصب وخطط الدولة مثل خطة القضاء والفتوى والكتابة وغيرها من الخطط الدينية وكذلك أن جمع الأحكام القضائية صارت على نهج ومبادئ المذهب المالكي، فتمكن من الدخول المذهب المالكي ببلاد السودان الغربي والاستقرار بين أهل هذه البلاد"[1] وعلى هذا يمكن القول بأن دعم الحكام للمذهب المالكي ساهم بشكل كبير في توطينه في منطقة الغرب إفريقيا، فقد أصبح المذهب المالكي مكونا أساسيا للدولة في تلك المنطقة بفضل جهود هؤلاء الحكام الذين سعوا لنشره وحمايته من الفرق الأخرى سواء كانت سياسية أو دينية.

الفرع الرابع: ذيوع حديث الإمام مالك إمام دار الهجرة

قال سحر عنتر:"كان في المدينة المنورة العديد من التابعين وتابعي التابعين وتلاميذهم الذين اتبعوا وحفظوا السنة النبوية، ومن أمثالهم مالك بن أنس الذي بلغ درجة كبيرة من العلم أهلته لأن يكون أفقه الناس، وأعلمهم بسنة النبي صل الله عليه وسلم، فالمعروف عن مالك أنه لا يفتي إلا بما هو واضح ويأخذ الرواية الموثوق بها، وهذه الصفات أهلته ليكون محل ثقة وكذلك مقصد الكثير من طلبة العلم في كل الأقطاب.

كما يرجع تعلق أهل السودان الغربي بالمذهب المالكي أن صاحبه سكن المدينة موطن دار الهجرة، ولم يبرحها إلا حاجا، لهذا جذبت المدينة المنورة عددا من أبناء السودان الغربي الذين أقاموا بها مجاورين الحرم المدني الشريف.[2]كذلك يرجع الفضل لشخصية صاحب المذهب بنفسه في توطين المذهب في البلاد،

---

[1] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 106.

[2] سحر عنتر محمد أحمد المرجع نفسه ص 114

لأنه عرف عنه التمسك بالسنة ومحاربة البدع وتشبه التام بآثار الصحابة والتابعين، بالإضافة الى الأثار الواردة في شأن عالم المدينة التي أجمعت خلال القرن الثاني الهجري على فضل إمام مالك وتفوقه على أقرانه وثناء علماء عصره وحسن سيرته واستقامة سلوكه فهذه الصفات هي التي حببيته إلى قلوب أهل السودان الغربي[1] وقد ساهمت مكانة الإمام مالك العلمية وشهرته في جعل مذهبه محل تقدير و اعتماد لدى المسامين في مختلف المناطق بما في ذلك غرب إفريقيا.

الفرع الخامس: التأثير المغاربي

يعتبر العالم الجغرافي من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي، فتوجه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام وهذا عن طريق الصحراء الكبرى بالرغم من المشقة وأخطار الرحلة، وإذا كان هذا العامل الفضل في نشر الإسلام في تلك البلاد داخله الفضل أيضا في تسرب المذهب المالكي والعمل على نشره والتأثير المغربي كان موجود منذ القدم في بلاد السودان الغربي،

ففي دولة غانا قبل دخولها الإسلام كان يوجد بها عدد كبير من المغاربة الذين تمتعوا بوضع اجتماعي ممتاز، فهم المقربون للملك، بحيث عينهم في مناصب هامة في الإدارة فكان ملك غانة يكن الاحترام والتقدير لهم، فجعل منهم مستشاريه، وعاملين على خزائنه[2].

"وبفضل وجود تلك الفئة من المغاربة توطدت وقويت العلاقات والروابط بين سكان غانة والمغاربة الذين توافدوا عليها بشكل كبير من أجل المصالح الاقتصادية والتجارية المشتركة بينهم، واستمر توافدهم على بلاد السودان الغربي بوجه عام وغانة بوجه خاص، تحديدا في فترة سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى، إذ استمرت الاتصالات بين الدولتين وهذا من خلال المراسلات بين يوسف بن ناشفين وملك غانة، وأسهمت هذه الاتصالات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة من أهل العلم والفقهاء وقراء القرآن الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي.[3]

"و كّذلك يتجسد ويتمثل الترابط الثقافي والديني بين السودانيين وحواضر بلاد المغرب في ذلك العدد الكبير من الطلبة المتفوقين وبعض ميسوري الحال من بلاد السودان المتوجهين إلى حواضر بلاد المغرب من اجل التزود والتعمق في فهم الإسلام وطريقه، ولا شك أن توجه هؤلاء الطلبة الى هذه المعاهد العالية

[1] عمر جيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993م، ص 35

[2] حسين سيد عبد الله مراد، ص 380.

[3] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 112.

من أمثلة القيروان والقرويين والأزهر وتلمسان وغيرهم، دلالة على تلقيهم لمبادئ العلوم الفقهية والعقدية حسب مذهب إمام دار الهجرة المنتشر في بلاد المغرب، فيجعلهم مرتبطين بهذه البلاد سلوكا ومنهجا وطريقة، حيث نجد أن هناك أروقة كاملة لهؤلاء الأفارقة في هذه الحواضر العلمية، على غرار رواق التكرور في الأزهر، ومدرسة ابن رشيق التي مرت بنا وغيرها الكثير"[1]

الفرع السادس: الطرق الصوفية

لقد كان للطرق الصوفية الأثر البالغ والقوي في نشر الإسلام في غرب أفرقيا، كما كان لها الدور المحوري في امتداد وانتشار المذهب المالكي، يقول أحمد جعفري:"يعتبر الصوفيون من رواد نشر هذا المذهب، خاصة وان من تولى نشرها في عموم بلاد السودان ينحدر جلهم من بلاد المغرب أو من أصول مغاربية، فبدءا بالمغيلي في القرن 15م وولوج الطريقة القادرية إلى المنطقة نجد أن التمكين لها تم على يد الكنتيين في القرون 17 و 18 و 19 الميلاديين وهم بدورهم اتخذوا المذهب المالكي منهاجا فقهيا لدعوتهم"[2]، فهذا الباحث يركز على دور الطرق الصوفية في نشر المذهب المالكي خاصة مع نشاط الطريقة القادرية ثم الطريقة الكنتية، وكلا الطريقتين نشأتا في الجزائر وانتشرتا في أفريقيا ومعظم أتباعهما من الغرب الأفريقي.

هذا الدور لا يقتصر على هاتين الطريقتين فقط بل يتعداه إلى طرق أخرى منها التيجانية والشاذلية وغيرها قال أحمد جعفر:"والأمر نفسه ينسحب على اغلب الطرق الصوفية الأخرى وخاصة التيجانية والمريدية والشاذلية وغيرها"[3] فكل منها ساهم بشكل أو بآخر في تعزيز وانتشار المذهب المالكي في المنطقة، والآن تعتبر الطريقة اليجانية هي المهيمنة والمسيطرة على جل البلاد الإفريقية، ولها أدوار متعددة سواء منها الدينية والاجتماعية وحتى السياسية، وهذا كله يخدم ويؤكد سيطرة المذهب المالكي لأن هذه الطريقة لا تحيد عن المذهب المالكي في الفقه.

الفرع السابع: الحج والرحلات العلمية

يعتبر الحج من العوامل التي ساهمت بقوة في نشر الإسلام وكذا في توطين المذهب المالكي في الغرب الإفريقي، قال أحمد جعفري:"كان الحج أحد أهم و سائل الاتصال بين المختلف مناطق العالم

[1] أحمد جعفري، المرجع السابق، ص 217.

[2] أحمد جعفري، المرجع نفسه، ص 216.

[3] أحمد جعفري، المرجع نفسه، ص 216.

الإسلامي، وبالنسبة لأفريقيين لم يكن الحج أداء لفريضة دينية فحسب بل مناسبة للاتصال بمنابع الحضارة العربية الإسلامية، والوقوف على مدى ما توفره العبادة العلمية من خلال أداء مناسك الحج، من إحساس بالأخوة والمساوات، والكمال الخلقي والسمو الروحي الذي يتحلى به المسلمون في الحج[1] . ولقد كانت قوافل الحج السودانية المتجهة إلى بلاد الحرمين الشريفين مكة المكرمة والمدينة المنورة تمر ببلاد المغرب وخاصة المدن الجنوبية منها مثل توات وغدامس وزويلة ومرزق وغيرها، حيث تلتقي هنالك ركب الحج المغربي، فيأخذون عنهم الكثير من المبادئ الفقهية ويتتبعون منهجهم في الحج حسب طريقة بلاد المغرب المالكية، وقد تناولت العديد من المصادر العربية والإفريقية منها خاصة، ركب الحج السوداني وما تضمنه من عدة مادية ومعنوية هذه الأخيرة تمثلت في العلماء الذين كانت تحويهم تلك الركاب سواء في الذهاب أو الإياب، ومن ذلك نجد إقدام الملك منسى موسى في عودته من الحج اصطحاب العالم الأندلسي الساحلي الغرناطي الذي لم يكن بناء معماريا فحسب بل كان شاعرا وفقيها ولا شك أن دوره تعدى مجرد تعريف السودانيين البناء بالطوب المحروق، ومن بين من رافق منسى موسى دائما في عودته من الحج الفقيه العالم عبد الرحمن التميمي الذي سكن تمبكتو فوجدها عامرة بالفقهاء السودانيين حيث عجز عن مجاراتهم في علوم الفقه فما كان منه إلا أن توجه إلى فاس حيث تزود وتشبع من منابعه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكتو فاستوطنها حتى وفاته، بعد أن خلف أبناء وأحفادا أسهموا بدورهم في نشر هذا المذهب[2]، وفي عهد الأسيقيين من حكام سنغاي، تذكر بعض المصادر أن الأسقيا محمد التوري اصطحب معه في رحلته للحج الإمامين الجليلين المغيلي وجلال الدين السيوطي [3]. وعلى هذا كله أن رحلة الحج والرحلات العلمية كان لها تأثير كبير في نشر المذهب المالكي في غرب إفريقيا.

[1] حسن إبراهيم الشيخي، تأثير الإسلام وثقافته في السوداني الغربي، المرجع السابق، ص 241

[2] أحمد جعفري، المرجع السابق، ص 218.

[3] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 129

المطلب الثاني: المذهب المالكي في ممالك غرب إفريقيا

في هذا المطلب سنتناول انتشار المذهب المالكي في ممالك غرب إفريقيا مع التركيز على أربع ممالك رئيسية وهي: مملكة غانا، ومملكة مالي، مملكة سنغي، ومملكة كانم برنو، ومن حلال استعراض هذه الممالك سنتعرف كيفية وصول المذهب المالكي الى هذه الممالك.

الفرع الأول: انتشار المذهب المالكي في مملكة غانا

انتشر المذهب المالكي في إفريقيا وكان للتجارة والدعوة خاصة مع الثروة الكبيرة التي كانت تمتاز بها البلاد الإفريقية، قال حسين عبد الله مراد:"كان انتشار الإسلام بمملكة غانا بفضل التجار والدعاة وكان أكثرهم من المغاربة، والمعروف بأنهم كانوا على المذهب المالكي، وتعتبر قوافل التجار المسلمين من بلاد المغرب إلى السودان الغربي من أهم العوامل التي ساعدت على نشر المذهب المالكي في تلك البلاد، [1]

فكان ضمن هذه القوافل الدعاة والفقهاء والعلماء الذين ينشرون الدعوة الإسلامية، فمملكة غانة كانت غنية وثرية ويوجد بها مناجم الذهب، لذلك استقطبت التجار المسلمين من أجل التجارة"[2]

وقد كان الحكم القائم في غالة يتحلى بالتسامح الشديد، مما ساعد على انتشار الإسلام والمذهب المالكي بين الأهالي سلميا، حيث أن هناك جماعة من المسلمين تقلدوا مناصب عليا في القصر الملكي حيث تؤكد الكشوفات الأثرية التي عثر عليها في غانة مثل المساجد التي تقع في طريق القوافل التجارية التي تربط بين سجلماسة وغانة، فكانت هناك عادات وتقاليد في المصلحة لا تتناسب مع المسلمين إلا أن ملكها كان يعفيهم منها، وفي هذا يقول البكري: .... فإذا دنا أهل دينه منه جلوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له، أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين[3] وهذا الوضع شجع وساعد التجار المسلمين التوافد بكثرة إلى مملكة غانة، حيث احتوت على اثني عشرة مسجدا يجتمعون فيه وبها الأئمة والمؤذنون وحملة العلم، وقد كان معظم وزرائه وكتابه والمترجمون المغاربة كانوا على المذهب المالكي، ولقد ساعدت دولة المرابطين في دعم المذهب المالكي وتوطيده في القرن11/05 م، حيث أعلن الملك تبعيته للخلافة السنة فقد أصبح الدين الإسلامي بمذهب مالك لهذه الوحدات السياسية كافة واتبعه الحكام

[1] حسين سيد عبد الله مراد، المرجع السابق، ص 402

[2] حسين سيد عبد الله مراد، المرجع نفسه، ص 402

[3] البكري أبو عبيد الله عبد الله، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د. ط، 1992م، ج2 ، ص 873.

والقضاة[1] وصحيح أن بعض هذه المناطق كانت قد عرفت الإسلام من قبل، ذلك الأمر الذي يسر على المرابطين مهمتهم هناك، إذ لم يتعرضوا لأي مقاومة تذكر، وتحولت تلك المنطقة إلى بلاد إسلامية، وفتح بذلك طريق الغرب الإفريقي واسعا أمام الإسلام لينشر في إفريقيا، بل إن الفتح الإسلامي لبلاد إفريقيا المدارية أتاح لأهل تلك البلاد فرصة الدخول في ميدان الحضارة الإسلامية، وحتى بعد تلاشي الامتداد المرابطي يجد أن نطاق الإسلام قد اتسع حتى أصبح الديانة الغالية على أهلها حتى مداخل نطاق الغابات، فكان المسلمون هناك على مذهب مالك، وهو المذهب الغالب في المغرب والأندلس، ومن ذلك العصر فصاعدا ستصبح بلاد مالي بلادا إسلامية[2]

ولقد أثرت الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي في غانة منذ بداية القرن 5هـ/11م وبشكل عميق حيث انتصر الإسلام نهائيا بمذهبه السني المالكي، وأصبح الدين الرسمي لجميع الممالك السودانية ومنها غانة فاعتنق الحكام والمحكومين المذهب المالكي، وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهد ملكها، فكان الملك الغاني يقرب المغاربة إليه ويعتمد عليهم في تنظيم أجهزة الدولة وتنظيم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى، وكذلك كان الملك يستأنس بهم ويخصص لهم امتيازات كبيرة، وكان معظم وزرائه وتراجمته على المذهب المالكي.[3] وهذا كله يبن لنا أن مذهب المالكي انتشر في مملكة غانا بفضل التبادل الثقافي والتجاري مع الدول الإسلامية الأخرى.

الفرع الثاني: انتشار المذهب المالكي في مملكة مالي

وكما هو الحال مع إسلام ملوك غانة الذين تحدث عنهم البكري، أورد كذلك قصة إسلام أحد ملوك مالي كاملة بقوله: " وملكهم يعرف بالمسلماني، وإنّما سمّي بذلك لأنّ بلاده أجدبت «4» عاما بعد عام، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتّى كادوا يفنونها ولا يزدادون إلّا قحطا وشفاء. وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنّة، فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له: أيّها الملك لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمّد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلّها لرجوت لك الفرج (ممّا أنت فيه) «1» وحلّ بك، وأن تعمّ الرحمة أهل بلدك، وأن يحسدك على ذلك من

---

[1] عواشرية خولة، انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي وسنغاي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة 08 ماي قالمة،2016 2017 ص 62

[2] نور الدين شعباني، جهود المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، موقع قصة الإسلام، (https://islamstory.com/ar/artical) تاريخ الدخول 01\05\2024

3 إبراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، (د ط) 1969م، ص 54.

عاداك وناوأك. فلم يزل به حتّى أسلم وأخلص نيّته وأقرأه من كتاب الله ما تيسّر (عليه وعلّمه من الفرائض والسّنن ما لا يسع جهله. ثمّ استأنى به إلى ليلة جمعة فأمره فتطهّر فيها طهرا سابغا) وألبسه المسلم ثوب قطن كان عنده، وبرزوا إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلّي والملك عن يمينه يأتمّ به. فصلّيا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمّن، فما انفجر الصباح إلّا والله قد عمّهم بالسقي. فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده، وصحّ إسلامه وإسلام عقبه وخاصّته وأهل مملكته مشركون، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني[1]

وكذلك قد يكون إسلام هذا الملك قد تم على يد علماء المالكية الذين انتشروا في إفريقيا الغربية بعد قيام الدولة المرابطية، حيث اعتبرت سنة 441هـ / 1050م منعطفا تاريخيا تمثل في ظهور المذهب السني المالكي ذي النزعة الصارمة في تطبيق الدين الإسلامي، الذي عم الغرب الإسلامي ككل مع مجيء الحركة المرابطية بالصحراء الصنهاجية، والذي وصلت تعاليمه إلى غرب إفريقيا، وكان يطلق على دعاته اسم "توري" في مقابل الخوارج الذين كانوا يسمون بـ"صغنغو"، والدليل على انتشار المذهب المالكي بالمنطقة إقرار منسي موسى إبان رحلته لمصر أنه مالكي المذهب، واقتناؤه منها عدة مصادر وبعض الكتب في الفقه المالكي[2]

بالإضافة إلى جهود حكام تلك الدول هي التي دعمت وساندت المذهب المالكي في الذيوع والانتشار حيث كانت مساحة مالي في عهد الملك ماري حاطة واسعة وزاد شهرتها وكثرت ثرواتها مما كان له أثر في استقطاب الكثير في مقدمتهم فقهاء المالكية. وكذلك في عهد منسى موسى اشتهرت مالي وتعددت ثرواتها ومواردها ومراكزها التجارية بالإضافة إلى المراكز الثقافية، حيث عمل منسى موسى على استقطاب الفقهاء إلى بلاده، وشجعهم مما ساهم ذلك في انتشار المذهب المالكي حيث نجد من أهم هؤلاء الفقهاء عبد الرحمان التميمي وكذلك اندغم محمد الكبير، وعبد الله البلبالي الذي استقر بتنبكت وقرأ عليه العديد من الطلاب، وهكذا سهم منسى موسى في انتشار المذهب المالكي بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حيث عرفت مالي في عهده دخول كتب كبر الفقهاء المالكية.[3]

الفرع الثالث: انتشار المذهب المالكي في مملكة سنغي

1 للبكري أبو عبيد الله، المرجع السابق، ج 6، ص 287

2 الحسين حديدي، الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا واشعاع الحياة الفكرية بها في العصر الوسيط وبداية الحديث، موقع مدونة عشري علام، (https://ashryallam,wordpress,com)

3 عواشرية خولة المرجع السابق ص 63

تعتبر مملكة سنغي من أقدم ممالك السودان الغربي وأطولها عمرا ويرجع انتشار الإسلام في مملكة سنغاي الى العديد من العوامل منها نتيجة الصلات التجارية التي ربطت بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي، تلك الصلات التي ترجع الى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[1] حيث طرق القوافل التجارية حملت معها أيضا المسلمين الذين يحملون معهم المذهب المالكي، حيث تغير الدور الدعوي من التجار الإباضيين إلى التجار المالكية ومنذ القرن 3هـ/9م فالتجار والفقهاء كانوا على المذهب المالكي، جاءوا واستقروا في ملكة سنغاي، وانتشر الإسلام فيها، مما أدى إلى إسلام العديد من الحكام والملوك واستقر الفقهاء والدعاة المالكين بمدينة جاو عاصمة سنغاي مما دفع وشجع الحاكم الخامس عشر من حكام سنغاي الذي أسلم سنة 400هـ / 1009م، وأعطى لنفسه لقب مسلم دام ومعناه في لغتهم أسلم طواعية وبدون إكراه[2] ويذكر البكري أن مدينة كوكو وهي مدينتان، مدينة للملك ومدينة للمسلمين، وملكهم يسمّى قندا وإذا ولي منهم ملك دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أنّ أمير المؤمنين بعث بذلك إليهم. وملكهم مسلم لا يملّكون غير المسلمين، وهذا يدل على أن حاكم سنغي مالكي المذهب وأيضا الأدلة الأثرية التي تم العثور عليها بالقرب من مدينة غاو مثل القبور حيث توضح أن حكام سنغي اتخذوا ألقاب شرقية متطورة تتناسب مع استخدام الدول الإسلامية السنية[3]

وكذلك ذكر بريما باري في كتابه جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي حيث قال: كما أن هناك شواهد وأدلة أثرية تؤكد على اعتناق أحد ملوك سنغاي الدين الإسلامي، حيث وجد قبر أحد الملوك هذه الدولة، والذي كتب عليه هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله وحصنه وكان هذا في عام 494هـ / 1100م [4] حيث تدل هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك سنغاي، وكان ذلك لفي أواخر القرن 5هـ/11م، فمن خلال الدراسة التي أقيمت على هذه الشاهدة، تبين أنها تم نحتت في مدينة المرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس، ولذلك يمكن القول أن هناك صلات تمت مع المرابطين وهذا يؤكد

[1] حسين مراد، الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 2-6 هـ، مؤتمر الإسلام في افريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، نوفمبر 2006م، ص 370.

[2] السعدي، ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، طبعة هوداس، مطبعة بردين، مدينة أنجي، 1898م، ص 3.

[3] البكري المرجع السابق ج 2 ص 883

[4] عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب ألإفريقي، المرجع السابق ص 44

على التأثير السني المالكي للمرابطين كان واضحا على مملكة سنغاي وعاصمتها جاو، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه المملكة[1].

الفرع الرابع: انتشار المذهب المالكي في مملكة تكرور

مملكة تكرور كانت واحدة من الممالك الإسلامية المبكرة في منطقة غرب إفريقيا، ولعل الإشارة لإسلام تكرور هي ما أخبرنا به "ابن حزم" الأندلسي حيث يقول:"بُلِّغْتُ في عام إحدى وثلاثين وأربعمائة أنه أسلم أهل سلا وتَكْرُور، وهما أمتان عظيمتان من بلاد السودان، أسلم ملوكهم وعامتهم، ولله تعالى الحمد كثيراً "[2]. وكذلك يؤكد لنا البكري دخول الإسلام الى هذه الممالك قبل حركة المرابطين، فكانت مملكة تكرور أول مملكة سودانية تتحول بكاملها الى الإسلام، وذلك عندما حكمهم ملكها وارجيابي بن رابيس فكان يقول: مدينة تكرور أهلها سودان، وكانوا على ما كان سائر السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير، والدكور عندهم الصنم، حتّى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقّق بصائرهم فيها. وتوفّي وارجابي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فأهل تكرور اليوم مسلمون .[3] وكان الإسلام في إمارة تكرور منتشرا على المذهب المالكي، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي للإمارة التكرور الذي يقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وهو يقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، ويقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية[4] ومما لا شك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي القبول الإسلام، وكان دائما يوجد الفقهاء إلى جانب الملك في تسير مقاطعته، وهذا لا يمثل حالة خاصة، وإنما ظاهرة عامة وجدت في مختلف الممالك الأخرى.[5]

الفرع الخامس: انتشار المذهب المالكي في مملكة كانم برنو

كانت مملكة كانم احدى الممالك الإسلامية البارزة في غرب افريقيا، وتعد من أقدم الممالك التي ازدهرت في منطقة الساحل والصحراء الكبرى، وقامت مملكة الكانم برنو شرقي بخيرة تشاد وامتدت في الشرق حتى

---

[1] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق ص 51

[2] ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد، رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، تح:احسان عباس، ط2 1987م، ج 2 ص133

[3] البكري، المرجع السابق ج2 ص 868

[4] سحر عنتر محمد أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 52

[5] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

بحر الغزال وشملت واداي في منطقة تشاد والمناطق الواقعة الى الغرب من بخيرة تشاد والتي تعرف قديما بإقليم برنو بجمهورية نيجيريا حاليا ولذلك عرفت في التاريخ بمملكة كانم برنو.[1] انتشر الإسلام بها وبالتالي انتشر المذهب المالكي، حيث يقول القلقشندي: «إن العدل قائم بين أهل كانم وإنهم يتمذهبون بمذهب الإمام «مالك» رضي الله عنه، وهم ذوو اختصار في اللباس، يابسون في الدّين، وعسكرهم يتلثمون، "[2] وكذلك بلغ أهل كانم درجة كبيرة من التقدير والاهتمام بالمذهب المالكي، حيث أنهم أقاموا مدرسة خاصة التدريس هذا المذهب في فسطاط بمصر عرفت باسم مدرسة ابن رشيق وبنيت المدرسة من طرف أهل كانم، حين يذهبون لأداء فريضة الحج كانوا يمرون على مصر، لذلك بنوا هذه المدرسة من أجل التعلم وكذلك من أجل استخدامها نزلا لوفود الحجيج القادمين من السودان الغربي [3]والتأثيرات المالكية بارزة بشكل كبير في مملكة كانم نظرا لمجهودات العالم المالكي الفقيه محمد بن ماني الذي أسلم على يديه سلطان كانم أوم بن عبد الجليل أومي جلمي) (479-490هـ / 1085 –(1097م) أول من جعل من الدين الإسلامي دينا رسميا للمملكة، فانتشر الإسلام في المملكة بفضل جهوده ومن بعده واصل تلاميذه أداء الرسالة المقدسة. كما وفدت بعثة تعليمية مالكية إلى بلاد كانم تضم مجموعة من العلماء والفقهاء وحفاظ القرآن الكريم من المغرب وغرب إفريقيا، وقد طاقت هذه البعثة بلاد مالي وكانم من أشهر أفرادها الشيخ مخلوف البلبالي ومحمد بن أحمد التازختي.[4] وكذلك كان علماء كانم برنو قد عرفوا بنشاطاتهم العلمية والثقافية في مجال اللغة العربية والأدب. بما أن ينابيع الثقافة تنفجر من معاقل العلم ومشاغل المعرفة، فإن الآثار العلمية والثقافية الهائلة التي ورثتها من كوكاو في القرن التاسع عشر من غسر غمو وما جاورها جعلت من تلك المدينة مركزا علميا تشد إليه الرحال وخاصة بعد استقرار الكاتمي في تلك المدينة، وتأسيس ما يمكن أن يطلق عليه المدرسة الكانمية... الخاصة لنشر العلم والثقافة والتي يتولى هو نفسه إلقاء الدروس في شتى المجالات ويضم مجلسه كبار العلماء والأئمة[5] وبناء على ذلك يمكن القول إن المذهب المالكي حقق انتشارا واسعا في مناطق السودان الغربي، خاصة في مالي وغانا وسنغي وكانم برنو. لقد كان للدور المغربي تأثير كبير في نقله الى هذه المناطق حيث أصبح المذهب المالكي المهيمن في هذه الممالك.

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص 219

[2] القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية بيروت، د. ط، ج 5، ص 271.

[3] إبراهيم علي طرحان، امبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، د. ط، 1975م، ص 73

[4] فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (600-1000هـ\1200-1600م)، ليبيا منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998، ص 251،253

[5] يعقوب يونس موسى، المديح والتوسل في الشعر الصوفي دراسة فنية لنماذج مختارة من علماء برنو في القرن العشرين، (رسالة دكتوراه) في اللغة العربية وأدابها مقدم، جامعة ميدغري 2010 ص 31

المبحث الثاني بعض علماء المذهب في الغرب الإفريقي

سأتناول بالبحث والدراسة بعض أعلام المذهب المالكي في الغرب الأفريقي، خاصة منهم المعروفون والمشهورون، ومنهم مثلا أحمد بابا التنبكتي، والشيخ محمد ختار الكنتي، وعثمان بن فوديو، وأخوه عبد بن فوديو.

المطلب الأول: أحمد بابا التنبكتي والشيخ محمد المختار الكنتي

سنتعرض لشخصية عالمين جليلين من علماء الغرب الأفريقي أحدهما أحمد بابا التنبكتي نسبة على مدينة تنبكتو المالية، والآخر الشيخ مختار الكنتي نسبة إلى الطريقة الكنتية وإلى مدينة كنتة الجزائرية جنوب ولاية أدرار، وهي مركز الطريقة الكنتية.

الفرع الأول: شخصية أحمد بابا التنبكتي ومسيرته العلمية

أولا: اسمه ومولده

هو سيدي أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن جبراي بن أكنبر بن انص بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني[1] المالكي ، المشهور ب التنبكتي والسوداني، ويكنى بابي العباس، اشتهر بالتنبكني نسبة إلى المدينة التي ولد وتربى فيها وترعرع . أما مولده فكان حسبما وجد بخط والده :" ليلة الأحد حادي والعشرون من ذي الحجة ختام عام ثلاثة وستين وتسعمائة بمدينة 963هـ بمدينة تنبكت [2]

ثانيا : انتسابه إلى أسرة اقيت

ينتسب أحمد بابا إلى أسرة اقيت المشهورة بالعلم والصلاح في السودان الغربي عامة وفي تنبكتو خاصة، وأفراد أسرته كان بنو اقيت التكروريون من أهل مدينة تنبكتو، ومم لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا، بحيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاة، وتوارثوا رئاسة

1 أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1 1981م، (د ت) ص31

2 عبد الرحمن محمد ميكا، جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي أحمد بابا التنبكتي نموذجا، مجلة العلماء الأفارقة، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، العدد الأول، 2019 ص 21

العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة ، وكانوا من أهل اليسار والسؤدد وَالدّين.... [1]ويذهب بعض المؤرخون إلى أن هذه الأسرة توارثت العلم والرياسة ما يقرب من خمسمائة سنة .[2] وعلى هذا كله يمكن القول بان أحمد بابا التنبكتي انتسب الى أسرة العريقة في تنبكتو، والتي اشتهرت بالعلم والمعرفة، كانت هذه الأسرة شهيرة في المنطقة ذات علم، مما انعكس على حياته ومسيرته العلمية.

ثالثا: نشأته وسيرته

إذا قمنا بجولة في المصادر والمراجع التي ترجمت لأحمد بابا التنبكتي ، نستطيع أن ترصد بعض ملامح سيرته، أن احمد بابا التتبكتي ولد ونشئ وترعرع في جو أسرة إسلامية تسودها الحشمة والأدب ، والمحافظة على الشعائر الدينية ، وجل أفرادها علماء وفي بيئة مدينة تنبكت إلى كانت مهد العلم ومبعث النور ومنهل العرفان في السودان الغربي .وفي رحاب جامعات هذه المدينة المباركة، التي ماد تستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط الغير الرحمان، تفتح عقله وذهنه على أفاق واسعة من الثقافة الإسلامية، واطلع على عدد وافر من الكتب والمصادر الهامة...[3] وبشكل موجز، يمكن القول إن أحمد بابا نشأ في بيئة صالحة ولقي اهتماما كبيرا في تربيته وتعليمه من قبل أسرته التي أهتمت به وأظهرت له مودتها، فضلا عن جده وجهده فأصبح شخصية عبقرية متميزة ظهرت عليها علامات النبوغ في وقت مبكر.

رابعا: أشهر أساتذته

سنذكر في هذا البحث بعض شيوخ أحمد بابا، والأساتذة الذين تلقى الدروس على أيديهم وهم:

1ـ أحمد بن عمر التنبكتي

هو الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى، والد سيدي أحمد بابا، الفقيه العالم بن الفقيه العالم، كان ذكيا ذا رأي متفننا محدّثا أصوليا بيانيا منطقيا مشاركا في فنون من العلم، كان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس، نفاعا بجاهه، لا ترد له شفاعة، يغلظ على الملوك فمن دونهم وينقادون له أعظم الانقياد، ويزورونه في داره، ولما مرض في كاغ في

1 السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب-الدار البيضاء، ت: جعفر الناصري، ج 5 ص129

2 القارئ محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، دار المغرب للتأليف والنشر الرباط، ت: محمد حجي وأحمد توفيق، 1978م-1308هـ، ج 1 ص275

3 عبد الرحمن محمد ميكا، المرجع السابق، ص 198.

بعض أسفاره كان السلطان أسكيا داود يأتيه بالليل ويسمر عنده حتى برئ تعظيما لقدره"[1] تلفى منه أحمد بابا علومه ومعارفه الأولية.

2ـ الشيخ محمد بغيغ

محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرمي التنبكتي عرف ببغيغ[2] و ولد في مدينة جنى سنة ثلاثين وتسعمائة ثم انتقل مع عائلته إلى تنكبت حيث قضى معظم حياته، كان فقيها بارعا في كل فروع الفقه الإسلامي، وكان عادلا زاهدا وكان من بين تلك الشخصيات المتدينة، يضاهيها ورعا وتقوى يقول عنه أحمد بابا : كان يرى الناس سواسية، ولا يتوسم إلا الخير في البشر ، وكان خدوما يسارع لنجدة الجار ، ويتألم لألم الآخرين و تلقى الشيخ محمد بغيغ العلوم الشرعية واللغة العربية على والده الفقيه محمود بن أبي بكر بمدينة جنى الحضارية ثم رجل إلى الحاضرة الثقافية تنبكت في سن مبكرة، واستأنف فيها مسيرته العلمية، وقد قدم احمد بابا برنامج أستاذه اليومي فقال إن أستاذه كان يبدأ بالتدريس عند الفجر حيث يقدم دروسا عدة حتى العاشرة، ثم يعود إلى بيته لصلاة الضحى، حيث يعود إلى بيته فيعطى دروسا حتى العصر، وبعد الصلاة يقصد مكانا للتدريس أيضا حتى المغرب، ثم يدرس في المسجد حتى صلاة العشاء، ولا يعود إلى بيته إلا بعد العشاء، ويضيف قائلا" :لا أتردد في التأكيد أنه كان عطوفا ومحبا لتلاميذه وللعلماء.[3]

3ـ العاقب بن محمود بن عمر بن أقيت

قاضي تنبكتو الإمام الفقيه الفاضل العالم العامل القاضي العادل كان صاحب أحوال غريبة وكرامات كثيرة. أخذ عن أبيه وعمه ورحل للمشرق ولقي في طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين وأجازه الناصر اللقاني والتاجوري إجازة عامة وهو أجاز الشيخ أحمد بابا بمثل ذلك. مولده سنة 913 هـ وتوفي سنة 991 هـ[1583م][4]

4 ـ أحمد بن محمد بن سعيد

---

[1] أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر، المرجع السابق، ص29.

[2] التنبكتي أحمد بابا بن أحمد، ت:1036، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب-طرابلس-لبيا،ط2، 2000م ص600

[3] حمودة اصلاح محمد البخاري، أحمد بابا التنبكتي وجهوده العلمية في الفقه المالكي، مجلة جامعة الزيتون، العدد 9، 2014م، ص 105

[4] محمد بن محمد بن عمر بن علي ت: 1360هـ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج 1 ص 415

ولد عام 931هـ / 1542م، وهو حفيد الفقيه محمود بن محمد، كان رحمه الله عالما بالفقه مطلعا مدرسا، درس على يد جده لامه "الرسالة"، ومختصر خليل" واخذ عنه المدونة، ثم جلس للتدريس من عام 960هـ / 1552م، درس عليه عدد من التلاميذ، وانتفعوا به، وكان من بين الذين درسوا عليه الإخوان محمد واحمد اقيت، أخذا عنه "الموطأ" و "مختصر خليل وغيرها، كما أدركه احمد بابا وكان صغيرا في السن إلا انه حضر بعض دروسه [1]

خامسا: مكانته وثناء علماء عليه ووفاته

كان الشيخ أحمد بابا التنبكتي فقيها متبخرا، ومرموقا في الفقه المالكي، وعالما ضليعا في عدة مجالات علمية، وموسوعة شاملة أحاطت بمعظم الكتب المنتشرة في زمانه، مما جعل معاصريه يقرون له بالفضل والمكانة العلمية.

1ـ مكانته وثناء علماء عليه

نال أحمد بابا تقدير واحترام العلماء المعاصرين له ومن جاءوا بعدهم، بفضل علمه الواسع وتعمقه في الفقه المالكي، حيث أبدى إخلاصا كبيرا في شرحه وتعليمه والإفتاء به وتأليفه. وأبرز دليل على مكانته هو مدح علماء عصره له واعتماد اللاحقين على مؤلفاته وآرائه.

ولنذكر قليلا من عبارات العلماء الذين عاصروه أو قاربوه أو جاءوا بعده ممن أثنوا عليه

- قال فيه تلميذه وصاحبه الثقة أبو عبد الله ابن يعقوب المراكشي: كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والإدراك التام الحسن، حسن التصنيف كامل الحظ من العلوم فقها وحديثا وعربية وأصولا وتاريخا منحيا للاهتداء لمقاصد العلماء، مثابرا على التقييد والمطالعة، مطبوعا على التأليف، ألّف تواليف مفيدة جامعة، فيها أبحاث عقلية ونقلية... كان من أوعية العلم.[2]

- وقال عنه تلميذه وصاحبه الحاج أحمد التواتي ثم المراكشي رحمه الله تعالى: لما فتح الله تعالى عليّ بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها، حامل لواء الأحاديث ومفهمها، رافع رواية مذهب الإمام مالك ومقدمها، العالم العلامة، المقبول الفاضل الفهامة....[3]

---

[1] حمودة اصلاح محمد البخاري المرجع السابق ص 105

[2] أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر المرجع السابق ص33

[3] أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر المرجع نفسه ص33

- أما أحمد المقري فقال عنه: «الشيخ المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت... له يد طولى في نوازل الفقه والتاريخ لا يجارى في ذلك وكذا في علوم الحديث مع المشاركة التامة في غيره ... وقال عنه تلميذه السعدي: «الفقيه العالم العلامة، فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فن من فنون العلم... فاق جميع معاصريه... اشتهر في الغرب أمره وانتشر ذكره، وسلم له علماء الأمصار في الفتوى.[1]

- وقال عنه القادري .. نفع الله به هذا القطر المغربي وحمل منه علم غزير، واستفيد ما عنده من التحقيق والتحرير وقد اشتهر فيه اشتهار أهله وتحققت فيه مكانة قدره وفضله ... [2]

2 ـ وفاته

عاد التنبكتي إلى بلاده اثر وفاة السلطان المنصور الذهبي وبعد أن أذن ابنه التولي بعده في رحيل آل أقيت عن مراكش وقد حدد موعد عودتهم في دائرة المعارف الإسلامية بسنة 1014 هـ وفي كتاب الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ما يؤكد هذا التحديد غير أن الأحداث التاريخية تشير إلى أن سيطرة زيدان بن المنصور على مراكش لم تتم حتى سنة 1015 هـ، حيث دخلها في أواخر هذه السنة فليتأمل.وفي تنبكتو قضى المؤلف العشرين سنة الأخيرة من حياته في التعليم حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس السادس من شعبان سنة 1036 هـ/ 1627 م. وفي رواية أخرى أن وفاته كانت سنة 1032 هـ[3]

سادسا: جهوده في الفقه المالكي

يعد أحمد بابا من أبرز المؤلفين المهتمين بعلم الفقه، وكان يستعمل العلم سلاحاً في دفاعه عن الحرية ودعوته إلى الإصلاح، فقد كان متحمسا لدراسة فقه مالك، ودراسة كتبه، وتتبع رجاله حتى بلغ درجة الاجتهاد والإفتاء، وقد ألف كتبا كثيرة في الفقه المالكي. وقد اهتم أحمد بابا بالفقه المالكي اهتماما خاص حتى غلب عليه في كتاباته الطابع الفقهي حيث اعتني بمختصر خليل عناية كبيرة، وتتبع شروحه وتلخيصه وناقش قضاياه، وتعقبها وربطها بأمهات الكتب الفقهية، وقد اعتنى احمد بابا في بداية عهده بتأليف شرح على أشهر متن في الفقه وهو" متن خليل"، وقام بترتيب كتاب" المعيار "للونشريسي، وعند استعراض مؤلفات احمد بابا التي إلفها في مراكش يتضح لنا انه اهتم بمناقشة القضايا المذهبية الشرعية، فقد كان مالكيا متحمسا المذهبه تعرض لقضايا هامة في الزواج والطلاق والزكاة وغير ذلك مما

[1] عبد الرحمن محمد ميكا المرجع السابق ،ص 202.

[2] القارئ محمد بن الطيب المرجع السابق ج1، ص 275.

[3] التنبكتي أحمد بابا بن أحمد المرجع السابق ص 16-17.

يهم المجتمع الإسلامي[1] وقد تركزت جهوده في مصنفاته على تتميم ما رآه ناقصا من أعمال سابقيه، وشرح ما رآه غامضا من مؤلفاتهم، واختصار ما ظهر له طويلا، وجمع ما يبدوا له متفرقا ليسهل استعيابه للدارسين، وحل بعض القضايا الرائجة في عصره.[2] وخلاصة يمكن القول بأن أحمد بابا لعب دورا كبيرا في نشر وتعليم الفقه المالكي في منطقة غرب افريقيا، كتب العديد من المؤلفات والشروح التي أسهمت في توضيح وتبسيط الفقه المالكي، مما جعله أكثر انتشارا و فهما بين الناس.

الفرع الثاني: الشيخ محمد المختار الكنتي

أولا: نسبه

وهو الشيخ سيدى المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيد أحمد البكاي بن سيد محمد الكنتي بن سيدي علي بن يحيى بن عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة بن نافع المستجاب فاتح إفريقيا والمغرب الأقصى[3] . والجد الذي سميت به القبيلة، هو الشيخ سيدى محمد الكنتي، وقبره في شمال غرب موريتانيا في محل يسمى (فصك)، وسبب التسمية أن والد هذا الشيخ ويدعى الشيخ سيدى على بن يحيى تزوج بنت زعيم عشيرة أبد وكل المتفرعة من قبيلة المتونة الكبرى، ويدعى محمد بن العالم بن كنتة فأنجبت له الشيخ سيدى محمد هذا، ولقب بالكنتي نسبة لجده من أمه، كما هو الشائع عند كثير من القبائل الصحراوية. فأصبح لا يعرف إلا بالكنتى، وترك هذا الاسم لأولاده من بعده حتى صار علما على القبيلة[4]

ثانيا: مولده ونشأته

ولد الشيخ المختار بن أحمد الكنتي في عام 1242هـ في يدعى كثيب أو غال من الأطراف الشرقية لبلاد شنقيط جنوب الصحراء الكبرى وفي القسم المعروف بأزواد وهي منطقة الصحراوية قاحلة .[5]

---

[1] حمودة اصلاح محمد البخاري المرجع السابق ص 109.

[2] عبد الرحمن محمد ميكا المرجع السابق ص .205.

[3] نور الدين كنتاوي، الشيخ مختار الكنتي الكبير حياته ومآثره، مجلة رفوف المخطوطات الجزائرية في افريقيا، جامعة أدرار-الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر 2015 ص 267.

[4] محمد المختار الكنتي، فتح الودود شرح المقصور والمدود، محمد طن إغي، ت: مأمون محمد أحمد، ط1، 1423هـ، 2002م، ص 10

[5] نور الدين كنتاوي، المرجع السابق ، ص 269.

عاش الشيخ سيدي المختار، في بيئة صحراوية، ونشأ على الطريقة التقليدية للبدو، في وسط ثقافي رفيع المستوى، فقد كانت أسرته وأجداده على جانب كبير من العلم والصلاح والتقوى وكانت مخايل النبوغ بادية عليه منذ نعومة أظفاره، يعرف ذلك منه كل المحيطين به ويتوقعون له مستقبلاً زاهراً[1] ويعد عصره من أخصب الفترات، والشيخ سيدي المختار أحد أهم شخصيات المنطقة آنذاك كيف لا وهو من نجوم القبيلة كنتة المنتشر اليوم في منطقة الصحراء الكبرى والساحل الموزعين بين عدة الدول مورتانيا وجمهورية مالي وجمهورية النيجر (كنتة الشرق) وبالجزائر منطقة عين قزام ولاية تمنغست، وبتوات ولاية أدرار المنطلق الأصلي للقبيلة، وهم المعرفون هناك بالعقبيين نسبة الى عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقيا[2]

ثالثا: طلبه للعلم

درس الشيخ رحمه الله - وهو صغير - القرآن الكريم على أخيه الأكبر وعلى جده لأمه، ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره، تاقت نفسه إلى المزيد من المعرفة فترك أهله وذهب إلى حى قريب منهم وبدأ يتعلم الفقه، ثم انتقل إلى حي آخر، واستمر في تعليم الفقه صابراً على مضايقة الطلاب له لتفوقه عليهم، حتى استوعب مختصر خليل، فاشتاق إلى المزيد من التعليم وانتقل إلى حاضرة المنطقة - مدينة تينبكتو - فوجدها خالية آنذاك من العلم، وأخذ في التجوال حتى وجد ضالته في المربي الكبير وعالم زمانه الشيخ سيدى على بن النجيب، وعنه أخذ جميع مروياته في التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو، والبلاغة"[3]

رابعا: ثناء العلماء عليه

كان الشيخ محمد المختار له مكانة مرموقة بين العلماء لما قدمه من خدمات جليلة في هذا المجال، وقد أثنى عليه العديد من العلماء والفقهاء تقديرا لعلمه ومساهمته

يقول عنه صاحب الإبريز في تلخيص باريز: "وممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة، وأنها سائرة العلامة الشيخ المختار الكنتاوي بأرض أزوات بقرب بلاد تمبكتو وهو مؤلف مختصر في فقه مالك، ضاهي به متن خليل وضاهي أيضا ألفية بن مالك في النحو، وله غير ذلك من المصنفات في العلوم الظاهرية والباطنية، كأوراد وأحزاب كحزب الشاذلي وقد ألف كتابا وسماه النزهة جمع فيه جملة علوم،

---

[1] محمد المختار الكنتي المرجع السابق ص 11

[2] محمد السعيد بن سعد، الشيخ سيدي المختار الكنتي العقبي حياته وآثاره، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 7، جامعة غرداية ماي 2016 ص 29

[3] محمد المختار الكنتي، المرجع السابق ص 11

فذكر بالمناسبة علم الهيئة، فتكلم عن كروية الأرض وعلى سيرها ووضوح ذلك فتخلص من كلامه أن الأرض كرة ولا يضر اعتقاد تحركها أو سكونها"[1].

ويقول الشيخ أحمد بابا التنبكتي صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور حيث قال في ترجمته الشيخ سيدي المختار القطب الرباني، والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الشهيرات، وشيخ الأشياخ السادات، من ظهرت بركاته شرقا وغربا. ومناقبه في الناس عجما وعربا، ساقي المريد، وعمدة أهل التوحيد، شيخ المحققين، ومربّي السالكين، أبو المواهب السنية، صاحب الأخلاق المرضية، ذو الكرامات الظاهرة، السيد الأسني، والذخيرة الحسنى، الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي ثم الوافي رحمهم الله تعالى. كان رحمه الله تعالى وليا عابدا زاهدا، يأتونه المريدون من كل فج ومكان[2]

وقال الشيخ يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء: هو الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي القادري من ذرية عقبةبن نافع الفهري فاتح بلاد المغرد.....من أشهر أولياء المغرب وأعظمهم قدرا وأجلهم معرفة[3]

خامسا: وفاته

توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادى الأولى عام 1226 الهجرية، عن عمر يناهز 84 عاما قضاها في التعلم والتعليم والتأليف والتربية ودفن في مكان يدعى (بو الأنوار) شمال مالي حاليا وشرق موريتانيا، رحمه الله رحمة واسعة، إنه سميع مجيب[4]

[1] رافعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط) (د ت) ص: 57

[2] أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر المرجع السابق ص 15

[3] نور الدين كنتاوي، المرجع السابق 268

[4] محمد المختار الكنتي، المرجع السابق ص17

المطلب الثاني: الشيخ عثمان بن فوديو وعبد الله بن فوديو

الفرع الأول: الشيخ عثمان بن فوديو شخصيته وحياته العلمية

أولا: نسبه مولده ونشأته

1ـ نسبه

هو عثمان بن محمد فوديو بن عثمان بن صالح بن محمد بن غورطو بن حيوا بن ثنبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب بن بابا بن موسى جكولو الذي هاجر بجماعته من بلاد (فوتاتور) قصد الهجرة الى الحجاز وتأخر مع طائفة في بلاد الهوسا واختلطوا بأهلها حيث ولد فيهم باعث دولتهم عثمان بن فودي كنيته هي أبو محمد أما لقبه فهو الشيخ " اشتهر بهذا اللقب وكاد أن علم له.[1]

2 ـ مولده ونشأته

ولد الشيخ عثمان بن فوديو يوم الأحد في أواخر صفر سنة ألف ومائة وثمانية وستين من الهجرة الموافق ديسمبر1754 م في قرية مرتا Marata في أرض غوبر Gobir إحدى ولايات الهوسا السبع وتقع القرية حاليا في جمهورية النيجر ولد لأبوين صالحين، ونشأ في حجرهما، كان أبوه محمد عالما من العلماء في المنطقة، اشتهر بالعلم والصلاح والتقوى والزهد، وكذلك والدته) حواء (كانت من أهل العلم والصلاح.

نشأ الشيخ عثمان في أسرة صالحة وعلى التربية القوية، والخلق الحسن طاهرا زكيا حتى استوي عوده على التدين والخلال الكريمة قد أولع منذ صغره بالعبادة والعلم معا، وظل هذان الخلقان يلازمانه من صباه إلى موته، حتى عرف عنه فكان يلقب بذي النورين أي نور العلم والعمل.[2]

الثاني: حياته العلمية

بدأ تعليمه على يدي والده الشيخ محمد بن عثمان فقرأ عليه القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الشرعية واللغوية، كما أخذها عن والدته (حواء)، ثم أخذ في تحصيل العلوم الأساسية المعهودة في تعليم النشء المسلم، فدرس النحو وعلوم اللغة على يدي الشيخ عبد الرحمن بن أحمد، ثم درس الأدب وفنونه

---

[1] الجودي بخوش، دور عثمان دان فوديو الاصطلاحي في غرب إفريقيا (1754م-1817م)، مذكر، لنيل شهادة الماستر، في تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة العربي التيبسي، 2017\2018م ص

[2] علي يعقوب، الشيخ عثمان بن فودي ومنهجه في التربية الروحية لأتباعه، مجلة العلماء الأفارقة ، مؤسسة السادس للعلماء الأفارقة ، العدد الأول 2019م ص 184

على يدي الشيخ عثمان المعروف ببندر الكيوي، وقرأ مختصر خليل، وغيره من كتب الفقه المالكي على عمه المعروف ببندور، ودرس التفسير على يدي خاله الشيخ أحمد بن محمد الأمين ، وصحيح البخاري على الشيخ محمد بن راج وأجازه الشيخ محمد جميع مروياته، ثم رحل لطلب العلم إلى مدينة أغاديس في شمال جمهورية النيجر للدراسة على الشيخ جبريل بن عمر ومكث عنده سنة يدرس الحديث وعلومه، ثم رجع إلى أهله لسفر الشيخ جبريل بن عمر إلى الحج، ولم يستطع الشيخ عثمان السفر معه لأن أباه لم يأذن له في المسير إلى الحج.[1]

ويُعد الشيخ جبريل من الشيوخ الذين أثروا في الشيخ عثمان تأثيرا كبيرا، وبخاصة في حركته الإصلاحية، ويؤكد الشيخ عثمان بن فودي ذلك في مناسبات كثيرة، إذ يؤكد أنه ما وصل إلى ما وصل إليه لولا شيخه جبريل، فمما قال في ذلك : « ليعلم أهل بلادنا السودانية هذه بعد ما أنعم الله عليهم، ليجتهدوا في شكر الله تعالى على وجود هذا الشيخ أي الشيخ جبريل في هذا البلد فيستوجبوا المزيد... ومن فضائله أنه بلغ الغاية في الاشتغال بالكتاب والسنة وحض الناس عليها، ومن فضائله كان أول من قام بهدم هذه العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه، وكان كمال ذلك ببركته على أيدينا ... ونحن بالنسبة إلى مقامه الضالع مع الضليع ... فوالله لا ندري هل نهتدي إلى سبيل السنة وترك العوائد الذميمة لولا تنبيه هذا الشيخ المبارك، وكل من أحيا السنة وهدم العوائد الذ ميمة في بلادنا السودانية هذه فموجه من أمواجه[2]

الثالث: ثناء العلماء عليه

حظي الشيخ عثمان بن فوديو بثناء وتقدير كبيرين من قبل العلماء المعاصرين له و اللاحقين عليه، نظرا لعلمه ودوره الكبير في نشر الإسلام وتصحيح العقيدة بين المسلمين في المنطقة، ودوره في خدمة المذهب المالكي

لقد أشاد الشيخ مختار بن أحمد الكنتي القادري بالشيخ عثمان بن فودي؛ فقد روي أنه قال عن الشيخ عثمان: .... سيدنا عثمان بن فودي ولي من أولياء الله، وجهاده حق، وسيملك هذه البلاد وكان الشيخ العلامة عبد الله بن فودي يثني على أخيه عثمان، وكان يقول عنه ... وحصل لي بحمد الله التبصر في الدين من فيضان نوره، ومن تواليفه المفيدة العربية والعجمية، فما ألف كتابا من أول تواليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقله عنه غالبا، وصحبته حضرًا وسفرا؛ ما فارقته من أنا يافع إلى أن حصل لي الآن قريب من خمسين سنة، والحمد لله على ذلك

[1] علي يعقوب، المرجع نفسه ص 184

[2] الهاجري علي بن غانم، أسطورة إفريقيا وعالمها الشيخ عثمان بن فودي، (د ن ط) ص 32

ويقول الشيخ العلامة محمد بلو عن والده: كان صلبا في الدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، يحكم بالقسط والعدل ولو في القربي، لا تأخذه حمية الجاهلية، بل لا يزيغ عن الحق[1]

الرابع: وفاته

وفي شهر جمادى الأخرة 1232 هـ الموافق ل1817م توفي الشيخ عثمان بن فوديو-رحمه الله بعد حياة حافلة بدعوة و الجهاد وإقامة الدعوة له في العمر ما يناهز 63 سنة [2]

الفرع الثاني: عبد الله بن فوديو

أولا: اسمه ونسبه

هو الشيخ الإمام عبد الله بن محمد فودي (أي الفقيه) بن عثمان بن صالح بن هارون بن محمد الملقب بغورط بن جب بن محمد سمب بن أيوب بن ماسران بن بوب بابا بن موسى جكل[3] ونسبه يرجع الى قبيلة "التوردب" وهي فرع من فروع الفولان هاجرت إلى الغرب منذ وقت مبكر واستقرت في بلاد حمص التي هاجرت إلى تنبكتو وقد كانت أصول التوردب أول من اعتنق الإسلام في منطقة سجلماس أو السنغال فالفلانيون وفقا لهذ النسب لذي عول عليه الشيخ عبد الله كثيرا بكتابه وأكده الشيخ محمد بلو في انفاق الميسور وغيره من المتأخرين علماء حركة الإصلاح ينتمون الى أصل عربي يرجع الى عقبات بن نافع الفهري وفقا لما ورد تقييده له في النص بأنه فاتح بلاد المغرب في زمن عمرو بن العاص[4] وهذا يبرز لنا أن عبد الله بن فودي خرج من قبيلة ذات نسب كريم، حيث ينتمي الى قبيلة الفولاني التي لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام و تعزيز التعليم الديني في غرب إفريقيا. وكانت عائلة معروفة بمكانتها العلمية في المجتمع.

ثانيا: مولده ونشأته

ولد الأستاذ عبد الله بن فودي في مَغَمِ وقيل في قرية طغل التي في حكومة محلية غُدَبَاوا ولاية صكتو حاليا .وقيل في مَرْنُونا في حكومة محلية ورنو بولاية سكتو شمال نيجيريا. واختلف الباحثون في تحديد ميلاده قيل في سنة ثمانين ومائة وألف1180 هـ الموافق سنة ست وستين وسبعمائة وألف 1766م

---

[1] الهاجري علي بن غانم، المرجع نفسه، ص 46

[2] [2] الجودي بخوش المرجع السابق ص 68

[3] عبد الله بن محمد فودي (1245)، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، مكتبة الشيخ مالم كبر،كنو-نيجيريا،(د ط) (د ت) ص 4

[4] أحمد الحمدي، الشيخ عبد الله بن فودي حياته وأثره (1179-1245هـ\1766-1829م)،مذكرة ماستر، في إفريقيا جنوب الصحراء كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار،2019، ص 12

بينما يميل الآخر إلى سنة ست وثمانين ومائة بعد ألف 1186هـ الموافق لسنة اثنين وسبعين وسبعمائة وألف 1772م[1] ونشأ في بيت عز وكرم وحكمة وعلم وصلاح منذ عصور قديمة، وترعرع تحت رعاية أبوين كريمين صالحين طاهري الأخلاق مما ساعد على تكوينه متفوقا في الذكاء وقوة الحفظ منذ نعومة أظفاره، ونشأ على سيرة حميدة من العكوف على مائدة العلم، حتى صار فريدا في قوة الإدراك وفصاحة القول وسعة البلاغة إلى أن لقب عربي السودان.[2]

ثالثا: حياته العلمية

ولد الشيخ عبد الله بن فودي في عائلة علمية مشهورة كما يذكر لنا شيئًا عن نشأته العلمية، ذلك بأن لوالده دورا كبيرا في تنشئته وتربيته وتعليمه، لقد حفظ الشيخ عبد الله بن فودي القرآن أولا على يد والده .ومع ذلك فإن الشخص الذي لعب دوراً أساسيًا في صقل شخصية عبد الله العلمية والخلقية هو أخوه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي .لقد تركه والده عنده وهو ابن ثلاث عشرة سنة، يعترف الشيخ عبد الله بن فودي بفضائل هذا الشيخ التي سارت بها الركبان شرقا وغربا[3] . لقد قرأ الشيخ عبد الله على أخيه العشرينيات والوتريات والشعراء الستة، كما أخذ منه علم التوحيد من الكتب السنوسية وشروحها . ويذكر عبد الله أنه" قل كتاب العلم التوحيد وصل إلى بلادنا أو عرفته ولم أنقله عنه.[4]

أخذ الشيخ عبد الله أيضا على يد أخيه الإعراب من الآجرومية والملحة وقطر الندى ونحوها وشروحها كذلك أخذ عنه علم التصوف الذي للتخلق والذي للتحقق .أما في ميدان الفقه، فقد درس معه كتب الفقه المالكي التي ساعدته على معرفة فرض العين :كالأخضرية والعشماوية، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وغيرها، أخذ عبد الله عن أخيه أيضا تفسير القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر القرآن الكريم عدة مرات .وفي محال الحديث درس عبد الله على أخيه علم الحديث دراية كالعراقي، ورواية كالبخاري[5]، ولم تقتصر دروس عبد الله مع أخيه على هذه العلوم فقط، بل تعدتها إلى علم الحساب الذي استوعبه عن طريقه، ويقول عبد الله عن أخيه إنه : "حصل لي بحمد الله التبصر في الدين من فيضان

---

[1] أبو بكر آدم مساما، اتجاهات فن الرثاء في ديوان الأستاذ عبد الله بن فوديو، (د ن) ط2 2024م ص 19-20

[2] أبو بكر آدم مسام، المرجع السابق ص 21

[3] فهد مبارك الضامن، عبدالله بن فودي النيجيري سيرته ولمحات من منهجه في التفسير، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمة، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، العدد 64 ص 605

[4] عبد الله بن محمد فودي، المرجع السابق، ص 11

[5] عبد الله بن محمد فودي، المرجع نفسه، ص 11-12

نوره ومن تواليفه المفيدة العربية والعجمية، فما ألف كتابا من أول تواليفه إلى الآن إلا كنت أول من نقله عنه غالبا[1].

لازم الشيخ عبد الله الشيخ جبريل لفترة ليست بالقصيرة، واستفاد منه فائدة عظيمة، ويذكر الشيخ عبد الله أن الشيخ جبريل بن عمر الطارقي قد لقنه كلمة التوحيد هو وأخوه عثمان بن فودي، وأجازهما أيضًا في كل مروياته. كذلك أعطاهما كتاب ألفية السند الذي ألفه شيخه المصري مرتضى الزبيدي، وألفية السند هذه عبارة عن إجازات متسلسلة تضم اسم جبريل بن عمر وبعض كبار العلماء.[2] وهذا كله يبين لنا أن الشيخ عبدالله بن فودي تعلم علوما كثيرة، ولا سيما عند أخيه عثمان بن فودي و الشيخ جبريل، وتأثر بها حتى صار عالما شهيرا في غرب افريقيا.

رابعا: ثناء العلماء عليه

نال الشيخ عبد الله بن فوديو على ثناء العلماء بفضل علمه الواسع في الفقه المالكي والتفسير واللغة العربية والتصوف. كان له إلمام كبير بعلوم الشريعة، وقد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات وسنذكر أقوال العماء العارفين به:

يقول عنه الشيخ محمد بللو بن الشيخ عثمان بن فودي رضي الله تعالى عنهم جميعا، هو العالم العلامة، التظار الفهامة شيخنا البركة المصنف المفسر المحدث، الراوية الحافظ، المقرئ المجود النحوي اللغوي، البياني المتفنن الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرائع من كل علم في مرعاه الخصيب، الشهير الرحالة آخر السادات الأعلام، وخاتمة النظار، ذو التحقيقات البديعة، والأبحاث الأنيقة الغربية، المتفق على علمه وهديه، ممن قل سماح الزمن بمثله، ومن الأفراد السنية في فنون الشرع، له القدم الراسخة والرحب الواسع في كل مشكل، سيف الله على ذوي البدعة، معدن الصدق والعلم، وزياد الفهم، كان آية في تحقيق العلوم....."[3]

وقال عنه أبوبكر: إنه عالم عرفته إفريقيا أو يمكن أتعرفه، ووصفه الإلوري بنادر الأزمان وعلامة السودان على الإطلاق.[4]

خامسا: وفاته

---

[1] عبد الله بن محمد فودي، المرجع نفسه، ص 12

[2] فهد مبارك الضامن، المرجع السابق، ص 606

[3] عبد الله بن محمد فودي، المرجع السابق، ص 5

[4] أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 27

انتقل الى رحمة ربه عام (1244هـ)، الموافق (1829م) ودفن في بلده ومكان رباطه (غوندو)، رحم الله الشيخ وجميع أنصاره وأهل بيته"[1]

[1] عبد الله بن محمد فودي المرجع السابق ص 9

الخاتمة

الحمد لله على تمام هذا البحث الذي توصل إلى عدة نتائج منها مايلي:

انتشر الإسلام في الغرب الإفريقي بطريقة سلمية بواسطة الدعاة والتجار، ثم جاء دور الدول التي عملت على نشر المذهب المالكي مثل المرابطين، ثم الدول المحلية مثل ممالك غانا ومالي سنغاي وكانيم برنو.

سيطر المذهب المالكي على المجال الفقهي في غرب أفريقيا لأن الناس هنالك تقبلوا هذا المذهب لاتفاقه مع الكثير من الأعراف ولاعتماده على السنة النبوية مع جمعه للنص مع العقل من خلال الأخذ بالرأي، وهذا ما شكل مرونة للفقه المالكي برزت من خلال مدارسه المتعددة ومنها المدرسة المغربية.

كان للمدرسة المغربية الأثر البارز في نشر المذهب المالكي في غرب إفريقيا.

جاء بعدها الدور البارز للإمام محمد المغيلي الذي ساهم بقوة من خلال حربه لليهود ثم انتقاله للعيش في الغرب الإفريقي أين ساهم في التطور السياسي والعلمي والثقافي لهذه البلاد.

بعد المغيلي جاء دور الطرق الصوفية وعلى رأسها الطريقة القادرية، ثم جاءت السيطرة العامة للطريقة التيجانية، وجميع هذه الطرق تعتمد المذهب المالكي ركيزة وعمادة لها.

وكان من أبرز الحواضر العلمية التي حافظت ونشرت المذهب المالكي مدن تمبكتو، وجاني، وغاو، وكلها تقع اليوم داخل الرقعة الترابية لدولة مالي التي تملك تراثا حضاريا يمتد في التاريخ إلى مملكة مالي الإسلامية.

ومن أبرز العلماء ذوي الأصول الغرب أفريقية والذين خدموا ونشروا المذهب المالكي: أحمد بابا التمبكتي، ومختار الكنتي، وعثمان بن فوديو وأخوه عبد الله بن فوديو.

هذا ما وفقنا الله تعالى لبحثه والتنقيب فيه والوصول إليه، والحمد لله أولا وآخرا ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملخص

جاء هذا البحث لدراسة حالة المذهب المالكي في غرب إفريقيا، كيف انتشر واستقر في هذه البلاد، ومن هم العلماء والملوك والأمراء الذين ساهموا في نشر هذا المذهب في هذه البلاد، وما هي الخصائص التي سمحت لهذا المذهب لكي يجد هذا القبول عند سكان هذه المنطقة من إفريقيا الشاسعة.

لقد كان لعلماء المغرب العربي دور بارز في نشر هذا المذهب، وجاء بعدهم التجار، ثم الأمراء والملوك الذي أسسوا دولا تستمد قوانينها من الشريعة الإسلامية مثل مملكة مالي الإسلامية.

ثم جاء دور المراكز الحضارية للإسلام في غرب لإفريقيا مثل تمبكتو وجاني وغاو، وبلا شك فإن الطرق الصوفية كان لها التأثير الفعال بعد ذلك في نشر الإسلام ونشر المذهب المالكي.

وفي الأخير تشكلت نخبة علمية من أبناء الغرب الإفريقي ساهموا في نشر المذهب واستقراره في الغرب الإفريقي، ومن أبرزهم: أحمد بابا التمبكتي، ومختار الكنتي، وعثمان بن فوديو وأخوه عبد الله بن فوديو.

This research came to study the state of the Maliki doctrine in West Africa, how it spread and settled in these countries, and who are the scholars, kings and princes who contributed to spreading this doctrine in this country, and what are the characteristics that allowed this doctrine to find this acceptance among the inhabitants of this region of Africa? Vast.

The scholars of the Maghreb played a prominent role in spreading this doctrine, and after them came the merchants, then the princes and kings who founded countries whose laws were derived from Islamic law, such as the Islamic Kingdom of Mali.

Then came the turn of the cultural centers of Islam in West Africa, such as Timbuktu, Jani, and Gao. Without a doubt, the Sufi orders had an effective influence after that in spreading Islam and spreading the Maliki doctrine.

Finally, a scientific elite was formed from the people of West Africa who contributed to the spread of the doctrine and its stability in West Africa. Among the most prominent of them were: Ahmed Baba of Timbukti, Mukhtar Al-Kanti, Othman bin Fodio and his brother Abdullah bin Fodio.

فهرس المصادر والمراجع

1. إبراهيم علي طرحان، امبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، د. ط، 1975م،

2. إبراهيم علي طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، (د ط) 1969م،

3. ابن العربي المالكي القاضي، محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ)، المسالك في شرح موطأ مالك، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428هـ-2007م، ج 1،

4. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي(ت:852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند، ط1، 1326هـ، ج 1،

5. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد، رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، تح: احسان عباس، ط2 1987م،

6. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (ت: 230هـ) الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1410 هـ - 1990 م،

7. ابن سعيد المغربي أبي الحسن، كتاب الجغرافيا، ديوان المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط1، 1970م،

8. أبو الحسن علي بن أحمد، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، دار الفكر بيروت، (د ط)، ت: يوسف الشيخ محمد،

9. أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم (ت 430هـ)، طرح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة، د. ط، د. ت. ط، ج 1،

10. أبو بكر آدم مساما، اتجاهات فن الرثاء في ديوان الأستاذ عبد الله بن فوديو، (د ن) ط2 2024م

11. أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1 1981م، (د ت)

12. أبو عمر بن عبد البر النمري، (ت:368- 463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت: بشار عواد وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي-لندن، ط1، 2017م

13. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (ت:327ه)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، ،1271ه،1952م،

14. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-بحيدر-آباد الدكان-الهند دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1271-1952م،

15. أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد بن أحمد، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تح: محمد سعيد عمر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ

16. أحمد الحجي الكردي وآخرون، وحدة البحث العلمي بإدارة الإفتاء في الكويت، المدارس الفقهية الأربعة أئمتها أطوارها أصولها آثارها، د م ن، ط1، 1436ه،2015م،

17. أحمد الحمدي، الشيخ عبد الله بن فودي حياته وأثره (1179-1245ه\1766-1829م)، مذكرة ماستر، في إفريقيا جنوب الصحراء كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار،2019،

18. أحمد جعفري، المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتأثره بفقهاء بلاد المغرب، مجلة آفاق علمية، جامعة غراديه، ع 12، 2020م،

19. أخريزي عبد القادر، التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا من القرن الثامن الهجري حتى الى غاية القرن عشرة، مذكرة الماستر، جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2021-2022م

20. الإفريقي للحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1983م،

21. الإفريقي محمد بن أحمد بن تميم(ت:333ه)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان،

22. إلياس دردور، تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، (د ط)،

23. البكري أبو عبيد الله عبد الله، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، د. ط، 1992م، ج2 ،

24. التنبكتي أحمد بابا بن أحمد، ت:1036، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب-طرابلس-ليبيا، ط2، 2000م

25. الجودي بخوش، دور عثمان دان فوديو الاصطلاحي في غرب إفريقيا (1754م-1817م)، مذكر، لنيل شهادة الماستر، في تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، 2017\2018م

26. الحجوي، محمد بن الحسن بن العربي (ت: 1376هـ)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م،

27. حسن علي إبراهيم، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي مند القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، (رسالة الدكتورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الآداب قسم التاريخ والخضارة الإسلامية، -2008م

28. الحسين حديدي، الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا واشعاع الحياة الفكرية بها في العصر الوسيط وبداية الحديث، موقع مدونة عشري علام، (https://ashryallam,wordpress,com)

29. حسين سيد عبد الله مراد، الصلات بين البلاد المغرب والسودان الغربي (ق 2-6هـ\ 8-12م)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر، 19 أفريل 2015،

30. حسين مراد، الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 2-6 هـ، مؤتمر الإسلام في افريقيا، جامعة أفريقيا العالمية، نوفمبر 2006م،

31. الحطاب، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد، (ت 954هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1412هـ-1992م، ج 1،

32. حمودة اصلاح محمد البخاري، أحمد بابا التنبكتي وجهوده العلمية في الفقه المالكي، مجلة جامعة الزيتون، العدد 9، 2014م،

33. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، (ت: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، 1405هـ- 1985م،

34. رافعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د ط) (د ت)

35. الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط:15، 2002م، ج3،

36. سحر عنتر محمد أحمد مرجان، فقهاء المالكية وأثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2010م،

37. السعدي عبد الرحمن بن عبد الله، تاريخ السودان، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن، ص20.

38. السعدي، ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، طبعة هوداس، مطبعة بردين، مدينة أنجي، 1898م، ص 3.

39. سعود محمد عبد العزيز، المذهب المالكي مدارسه وأشهر مصطلحاته، أطروحة دكتورة، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

40. السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب-الدار البيضاء، ت: جعفر الناصري،

41. سمية تونسي، الحواضر العلمية في السودان الغربي ما بين القرنين (07-10هـ 13-16م) (غاو) نموذجا، (مذكرة ماجستير) تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية-أدرار 2019-2020م.

42. شوقي عطا الله الجمل، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا، المصر النهضة، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن،

43. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت: 476هـ)، طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، تح: إحسان عباس ط1، 1970م،

44. الصفرية: التعريف والنشأة-الاعتقادات-انتشارها بالغرب الإسلامي، موقع الرابطة المحمدية للعلماء، الصفرية- التعريف- والنشأة والاعتقادات /arrabita/bog يوم:2024/5/7.

45. عبد الرحمن محمد ميكا، جهود العلماء الأفارقة في خدمة المذهب المالكي أحمد بابا التنبكتي نموذجا، مجلة العلماء الأفارقة، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، العدد الأول، 2019 ص 21

46. عبد الله بن محمد فودي (1245)، إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ، مكتبة الشيخ مالم كبر، كنو-نيجيريا،(د ط) (د ت)

47. عثمان برايما باري جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ-2000م،

48. عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430.515هـ- 1038-1121م، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م-1408هـ،

49. عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام، دار الكتب الوطنية-بنغازي، ط1، 1998م،

50. علي يعقوب، الشيخ عثمان بن فودي ومنهجه في التربية الروحية لأتباعه، مجلة العلماء الأفارقة ، مؤسسة السادس للعلماء الأفارقة ، العدد الأول 2019م

51. عواشرية خولة، انتشار المذاهب الإسلامية في السودان الغربي في عهد مملكتي مالي وسنغاي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة 08 ماي قالمة،2016 2017

52. فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (600-1000هـ\1200-1600م)، ليبيا منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998،

53. فهد مبارك الضامن، عبدالله بن فودي النيجيري سيرته ولمحات من منهجه في التفسير، مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، العدد 64

54. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت، (د ط) ،(د ت)،

55. القارئ محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، دار المغرب للتأليف والنشر الرباط، ت: محمد حجي وأحمد توفيق، 1978م-1308هـ،

56. قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث دبي، ط1، 2002م، ج 2،

57. القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى(ت:544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك تح: عبد القادر صحراوي، مطبعة الفضالة المحمدية، المغرب، ط 1، 1966م،

58. القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية بيروت، د. ط،

59. مجمد فاضل وسعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وخضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1971م،

60. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ملتزم لطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، د. ت. ن،

61. محمد السعيد بن سعد، الشيخ سيدي المختار الكنتي العقبي حياته وآثاره، مجلة الذاكرة، تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد 7، جامعة غرداية ماي 2016

62. محمد المختار الكنتي، فتح الودود شرح المقصور والمدود، محمد طن إغي، ت: مأمون محمد أحمد، ط1، 1423هـ، 2002م،

63. محمد المختار المامي، المذهب المالكي مدارسه ومؤالفته وخصائصه وسماته، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ط1، 1422هـ،

64. محمد بن أحمد بن أرفة، الشرح الكبير للشيخ الدرير وحاشية الدسوقي، دار الفكر د. ط، د. ن. ت،

65. محمد بن محمد بن عمر بن علي ت: 1360هـ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج 1

66. محمد محي الدين بنق، افريقيا وحوض النيل، مطبعة عطايا بباب الخلق بمصر، ط2، 1934م،

67. نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م تونس تبر الزمان، د. ط، 2004م،

68. نعيم قداح، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، سلسلة الثقافة الشعبية، د. م. ن، د. ط، د. ت. ن،

69. نوح عيس سيدبي، تاريخ الإفريقية الغربية والوسطى، ألقيت على طلبة السنة الأولى الشريعة والقانون، سنة 2020م، الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية الشريعة والقانون قسم الفقه وأصوله،

70. نور الدين شعباني، جهود المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، موقع قصة الإسلام، (https://islamstory.com/ar/artical) تاريخ الدخول 01\05\2024

71. نور الدين كنتاوي، الشيخ مختار الكنتي الكبير حياته ومآثره، مجلة رفوف المخطوطات الجزائرية في افريقيا، جامعة أدرار-الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر 2015

72. الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسية والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشرة الى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م،

73. يعقوب يونس موسى، المديح والتوسل في الشعر الصوفي دراسة فنية لنمازج مختارة من علماء برنو في القرن العشرين، (رسالة دكتوراه) في اللغة العربية وأدابها مقدم، جامعة ميدغري 2010 .

الفهرس

العنوان	الصفحة
الاهداء	7
الشكر والتقدير	8
مقدمة	10
الفصل الأول:تعريف المذهب المالكي والغرب الإفريقي	15
المبحث الأول: تعريف المذهب المالكي	15
المطلب الأول: مؤسس المذهب المالكي	15
المطلب الثاني: مدارس المذهب المالكي وأشهر أعلامها	20
المبحث الثاني: والغرب الإفريقي	42
المطلب الأول: التعريف بالمنطقة	42
المطلب الثاني: أهم مراكز الحضارة والثقافة في المنطقة	46
الفصل الثاني: تاريخ انتشار المذهب المالكي في الغرب الإفريقي وعلماؤه	50
المبحث الأول: انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا	51
المطلب الأول: عوامل انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا	51
المطلب الثاني: المذهب المالكي في ممالك غرب إفريقيا	59
المبحث الثاني: بعض علماء المذهب في الغرب الإفريقي	65
المطلب الأول: أحمد بابا التنبكتي والشيخ محمد المختار الكنتي	65
المطلب الثاني: الشيخ عثمان بن فوديو وعبد الله بن فوديو	73
خاتمة	78
الملخص مترجم	79
فهرس المصادر والمراجع	80
الفهرس	87